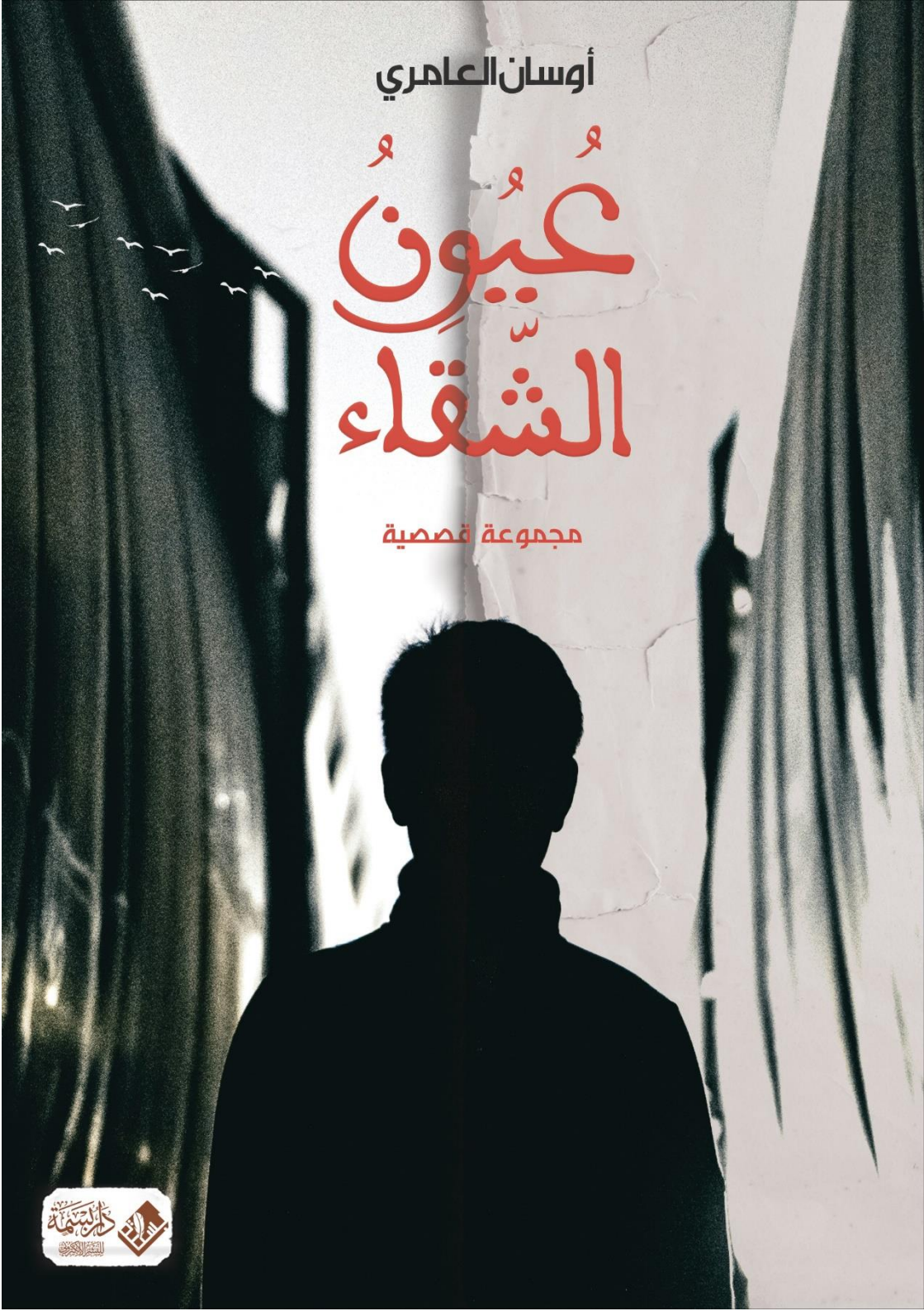

أوسان العامري

# عُيُونِ الشَّقَاء

مجموعة قصصية

# عيون الشقاء

مجموعة قصصية

أوسان العامري

دار البسمة للنشر الإلكتروني

@جميع الحقوق محفوظة لدى الناشر.

✦ عنوان الكتاب: عيون الشقاء.

✦ إشراف: أوسان العامري.

✦ نوع الكتاب: مجموعة قصصية.

✦ الطبعة الأولى: 2024م.

✦ تدقيق لغوي: عائشة العولقي

✦ تنسيق داخلي: يمان المجد **Inst:yaman_2255**

✦ رقم الإيداع بدار الكتب الوطني صنعاء:

✦ الناشر: **دار بسمة للنشر الإلكتروني**

لا يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني، ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوقه الملكية الفكرية، أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة الناشر.

# إهداء

إلى أولئك المتعبين، الشـاحبة قلوبهم، القابعين على أرصـفة الانتظار،

الذين يختطفهم الخذلان وقلة الحيلة،

يستندون على ثباتهم الكاذب، ويخوضون معاركهم بصمت،

وما بين النصر والهزيمة يضمدون جروحهم بابتسامة.

# إسقاط دَيْن

طرق الباب بقوة...

افتح، يا أستاذ سعيد

نظر إلى زوجته التي تضـع يدها على خدها فلم تجد داخل المطبخ إلا الملح،

همس خالد في أذنه:

- أبي المدرسة على الأبواب،

متى تشتري لي الدفاتر والأقلام؟

أمسكت رزان بيده والدموع تترقرق في عينيها:

- أبي منذ فترة لا أستطيع أن ألعب مع صديقاتي أخجل منهن فثيابي ممزقة.

ثم مر بجوار أسعد وهو يبكي:

- أريد تفاحة.

وسمع أنين سعاد فقد نخر المرض جسدها.

فتح الباب فأمطره صاحب البيت بوابل من الشتائم، فمنذ شهرين لم يسدد إيجار المنزل:

- طيب يا عم صالح سيأتي الراتب وأعطيك حقك.

- متى؟

كل يوم وأنا أسمع نفس الكلام منك

أخرج من منزلي أنت مستأجر مماطل

ثم ذهب وتركه غارقا في خضـــم الحيرة فقد هاجت لجج القهر به وماجت.

قبل دخوله المنزل رفض صـــاحب البقالة أن يعطيه كيلوغرام واحد من الدقيق فقد أغلق حسابه

توسل إليه، بيته لا يوجد فيه إلا الماء

زعق في وجهه:

- وهل تريدني أن أنفق عليك؟

حمل خيبته وعاد إلى منزله صفر اليدين

وضـــع ناصـــيته على حافة الباب وطفرت من عينيه دموع كادت أن

تصهر الحديد

رن هاتفه مرة، مرتين، ثلاث كان ينظر إلى الاسم في الشاشة
"صاحب الصيدلية" ثم تساقطت دموعه بغزارة
استدان منه الدواء لسعاد التي لم ترَ العافية منذ شهر، أخذ بعدها
يتهرب منه، فقد أن دفع له نصف المبلغ فقط.
تذكر! كيف كان سلام صديقه جافا حينما صادفه في الطريق؟
أسرع في الكلام ثم تحاشاه بحجة أنه مشغول.
كان يريد أن يطلب منه مبلغا بسيطا من أجل قوت أطفاله إلى أن
يعود إلى عمله بعد أن تسبب الحادث في كسر رجله اليمنى
معلم شق الزمن التجاعيد على تقاسيم وجهه
رسم فيه أشكالا هندسية
أصبحت حياته، كالاحتمالات،
كالمقادير الجبرية، هو فيها مثل المتغير "سين" في الطرف الجبري
يبحث عن راتبه لتصبح المعادلة صحيحة
معلم في وطن لم يعد للمعلم مكانته

يصرخ بأعلى صوته:

- أين حقوقي؟!

يسمع صدى صوته فقط

خمس سنوات لم تكتحل عيناه برؤية معاشه

الذي كان يسد به رمقه

يجر خطاه في الأزقة والشوارع بائعا متجولا يعول أسرته.

كل من يبتاع منه يردد عليه أنا معلم من طلابي من دخل كلية الطب

ومنهم من ذهب خارج الوطن

أحد طلابي الأول على دفعته سنة أولى في كلية الهندسة

ثم يحبس عبرته ويتنهد ويهز رأسه

''كاد المعلم أن يكون رسولا''

خط السير مزدحم، وشمس تموز أحرقته تتدحرج حبات العرق

على جبينه بخجل.

التفت عن يمينه ومشى دون أن ينتبه وفجأة

ارتطم به طقم عسكري ومضى مسرعا دون أن يلتفت له

تجمع الناس حوله، وذهبوا به إلى المشفى أصيب بكسر في رجله

وأصبح لا يستطيع أن يمشي دون أن يعتمد على عكاز.

أغلق الباب، ومشى يتوكأ على الجدار

سمع أحدهم ينادي باسمه

واصل طريقه إلى الأعلى، ومن سقف المنزل في الطابق الثاني نظر إليه فقد كان صاحب العربة التي اشتراها منه وبقي عنده مبلغا من المال لوح له بيده وماهي إلا لحظات

حتى تجمع الناس حوله وأســـقطوا ديونهم التي لهم عنده، يكفكفون دموعهم ويرددون:

- رحمك الله، يا أستاذ سعيد.

# ذاكرة معلقة

وصل إلى مسامعها خبرٌ:

" إطلاق سراح مجموعة من الأسرى.. "

" أبا محمد هل ما سمعته صحيح؟! "

نظر إليها والدموع تترقرق في عينيه

ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم

" نعم، ستكتحل عيوننا برؤيته.. "

ذرفت دموعها هي تنظر لزوجها الذي كسر الفقد ظهره، فابنه الوحيد يقبع خلف القضبان منذ أربع سنوات

بعد أن اختفى اختفاءً قســـرياً، ظن أنه في عداد الموتى بعد أن فقد الأمل في العثور عليه

رفعت يديها وهي تجهش بالبكاء:

- لك الحمد يا الله، قد اســـتجبت دعائي وها أنا أجد ريح يوسفي لعل النور يعود لعيني

في الصباح الباكر تسابق الجيران إليها لتهنئتها

علت الزغاريد وأقامت وليمة استبشارا بقدوم ولدها الآتي من عدم

- يا أم محمد، سأذهب إلى المطار

ارتدى أجمل ما عنده وكأن اليوم عيد

انفرجت أسارير وجهه، وعادت ابتسامة الفرح التي سرقها الحزن ها هي تترنح على ضفاف ثغره

ودعته ووقفت على باب دارها توزع الحلوى للصغار

تمسك بيدها زجاجة عطر تعانقهم برذاذها

مرت اللحظات ثقيلة على أبي محمد ومن بين الجموع رمق ولده.

لم يستطع أن يتحرك، جثا على ركبتيه، والدمع ينهمر

حملوه إلى ولده، ضمه إلى صدره، وأخذ يتحسس ملامحه وهو جامد كالصنم دون حراك.

امتلأت الدار بالأهل والجيران عند وصوله

وهي تكفكف دموعها، اقتربت شيئاً فشيئاً.

كان نحيلا أشعث الشعر ينطق التعب في ملامحه.

عشريني بملامح أربعيني.

جرت خطاها إليه مثقلة بوجع الفقد

وهمست له: تعال يا كل المنى.

التفت يمنة ويسرة ثم همس بريبة:

– من أنتم؟!

صعقت من هول ما سمعت أمسكت بذراعه: – _محمدي، أنا أمك.

حدق بها ورد بعد برهة:

- أمي أنا؟!!

علت الأصوات وارتفعت الهمهمات:

- محمدي أنا أبوك، كســـرني فراقك، عودتك عودة الروح إلى الجسد.

انتظرت مجيئك إلى هذه الدنيا سنين

فجئت ثم خطفوك مني رموني إلى محطات القهر والانتظار

وهناك كم سألت عنك المارة وشيعتك مرات ومرات

ثم انتحب..

صاح أحدهم دعوه يرتاح إنه متعب.

جلس ثم حاول أن يقف فلم يســـتطع. حاول جاهدا أن يرخي زرارة

عنقه لكن يده متصلبة يجد صعوبة في رفعها إلى عنقه، يغفو قليلا ثم يفيق مرعوباً

لقد صـــار جســـدا فقط، أما الذاكرة فهي عالقة هناك وراء دهاليز السجون.

# عيون الشقاء

لمحت وجهي في المرآة لم أعرفني

غزا الشيب شعر رأسي ولحيتي

لا أظن أنني كبرت

قبل أسبوع أطفأت شمعتي الخامسة والثلاثين

لكن للشيب طقوسه الخاصة

وأنا أتأمل ملامح وجهي التي أجزم أنها ليست لي

تذكرت تعويذات أمي كنت لا أغادر المنزل إلا وقد حصنتي

حكت لي لأكثر من مرة، وأنا أستمع لها بشغف أنني في صغري أصبت بالعين، كادت أن تقتلني منذ ذلك اليوم الذي شاركت في مسابقة هي الأولى من نوعها، ومثلت فيها مدرستي وحصدت المركز الأول.

بعدها لازمني صداع حاد؛ ولزمت فراشي لأيام

لم تجد المسكنات نفعا.

أشـــارت عليها جارتنا أن تذهب بي لشـــيخ يرقي من العين يقصـــده الكثير من الناس

تماثلت يومها للشفاء لكن ذلك الصداع يزورني بين فترة، وفترة

قال الشيخ أن العين التي أصابتني قوية

زاد قلق أمي، فقد فقدت اثنين من أخوتي بمرض الصـــرع الذي كان بدايته صداع

كانت تجزم أن سببها العين، فكلاهما كانا يتميز بذكاء يشد انتباه من حوله.

لم أتذكر تلك الحادثة إلا أن أمي ما زالت حريصـة على مسـح رأسـي بزيت الزيتون، وتقرأ علي المعوذات وأدعيتها التي تهمهم بها

مما جعلني معرضا للسخرية بين أخواتي

فيهمزن ويلمزن:

- أماه وحيدك هذا ليس له جمال يوسف حتى تخافي عليه.

فكن يغضبنها فتخلع نعلها وترميهن به واحدة تلو الأخرى.

فاسمع ضحكاتهن من خلف الباب

. أحمد هل ستترك هذه المرآة لصاحب المنزل؟

. ها، لا سنزلها حالا

. يعز علي مغادرة هذا المنزل فقد ولد فيها محمد وسارة

- تبا للجشع!

. لا عليكِ عزيزتي سنقطن منزلا آخر ربما أوسع منه

. ستصبح المدرسة بعيدة أكثر عن الأولاد

. سأدبر الأمر

. تلك الحقيبة أحملها بحذر!

. ماذا بداخلها؟

. أشياؤك

. شهاداتك، وأوسمتك

حرصت أن تكون لها حقيبة خاصة

اغتصبت ابتسامة باهتة، وبلعت عبرتي

سيكون لك شأن يا أحمد لقد تخرج على يدي من هذه الجامعة الكثير من الطلاب، لكني لم أصادف أحدا بمثل نباهتك وذكائك.

لست أنا من يمدحك، الجميع يتحدث عنك

أثق أنك ستصبح مهندسا يشار إليه بالبنان

أحمد!

أين شردت؟

هاتفك يرن بين يديك

فتحت الخط:

. المهندس أحمد

. نعم، معك

هل وجدت عملاً؟

للأسف لا ما زلت عاطلا

لقد وجدت لك عملا

حقا!

تعال غدًا

– هل أصطحب مؤهلاتي الجامعية؟

--لا داعي لذلك

العمل الذي لدي لا يحتاج كل هذا.

خذ هذه القفازات تحمي يديك من الأسمنت،

وهذا الطوب يجب حمله إلى الدور الثاني

كلما كان العدد أكثر كان أجرتك أكبر.

اعتدت على العمل رغم مشقّته

أول يوما من مزاولتي للعمل ناداني المشرف بالمهندس

رد أحد العمال

كلنا هنا عمال بناء، من هذا المهندس الذي بينا

ثم أردف باستهزاء:

- وأنا كذلك دكتور

ضحك الجميع.

في اليوم الثاني ربطت شهادتي في عنقي

وبدأت أسلم عليهم واحدا تلو الأخر

حتى وصلت إلى ذلك العامل

همست له:

- انظر خريج كلية الهندسة أنظمة حاسوب.

ثم هززت كتفه وأردفت:

- وأزيدك من الشعر بيت الأول على دفعتي، وهذه شهادة بين عدة شهادات في حوزتي

طأطأ رأسه لم ينبت ببنس شفة

لم يصدق العمال ما رأوا.

بحلقت عيونهم وشدهوا

وضعتها في جواري وأكملت عملي،

في تلك اللحظة داهمني الصداع فجأة

أخر مرة زرت فيها الطبيب قال إني أحتاج عناية خاصة، وقد يتسبب ذلك الصـــداع في مضـــاعفات خطيرة منعني من التعرض للشـــمس والضوضاء

نصحني عن الابتعاد عن التوتر والضغط النفسي

أخذت دواء، ثم تركته لكنني اليوم بحاجة لأمي لتمســح على رأســي بيديها المرتعشتين، وتنفث دعواتها التي تشعرني بالأمان

عند عودتي ذهبت لزيارتها دعوت لها كثير

وبللت قبرها بدموعي

خاطبتها: كنت دائما تحصنيني من عيون البشر فلم تصبني بعد تلك

العين عين

ونسيتِ يا أماه أن للشقاء عيون.

# ورد

استيقظت في منتصف الليل على

همهمة وصـــراخ، فتحت باب الغرفة، كان أحدهم يترنح على باب غرفته، ويطرقه بشدّه ثم فُتح الباب، ودلف إلى الداخل.

استمر ذلك المشهد لأكثر من ليلة،

وأرهقني، لاسيما أنني ألقي بجسدي على السرير وأغط في نوم عميق ولا يوقظني إلا ذلك الصراخ.

في الليلة الرابعة من مكوثي في الفندق حزمت أمتعتي وقررت أن أتركه في الصباح

نمت لم يحدث شيء.

طرق الباب، فتحت عيني وتأففت، ظننت الوقت مازال ليلا، تســلل شعاع الصباح مبتسما يراقص ستائر نافذتي .

كان الطارق يداعب الباب، يطرق برفق ثم يتوقف .

فتحت وأنا أتثاءب

– عفوا. أنت المحامي "أدهم"؟

أجبتها بخجل:

–نعم

أردفت باستحياء:

–أنا الآنسة ورد، أطلب مساعدتك؟

كنت بملابس النوم، والنعاس مازال يمسك بأجفاني.

كانت فتاة في مقتبل العمر، كأن عينيها الواسعتين الكحيلتين تمطران، فأهدابها مازالت مبللة،

وجهها كبياض الثلج، لكنه شاحب وحزين.

"ورد" وهي كالورد في مشاتله

تجمدت أطرافي، وتلاشت العبارات من شفتي.

–هل تعرف زوجي؟ اسمه " عبد السلام محمد"، ذاك الذي سلم عليك حينما دخلت جناحك هذا،

قال إنك صديقه.

رددت بدهشة:

– أنا لا أعرف أحدا هنا..!

أجهشت بالبكاء وانهمرت دموعها بلا هوادة.

لم أفهم شيئا وبعد تهدئتها،

فهمت أنها تزوجته منذ أسبوعين، قال لها سيقضي هنا في الفندق شهرا، وبعد ذلك سيسافر بها إلى بلده في الخليج..

كان رجلا أربعينيا، أغرى والدها بالمال والذهب، لم يترك لها شيئا حتى حقيبتها أخذها.

مدت لي ظرفا وجدته بالقرب منها. أخذت الظرف فتحته بسرعة.

عضضت على شفتي ورفعت حاجبي

–"تبا للوغد.."

قالت بصوت مبحوح:

– أرجوك أخبرني، هل ترك لي عنوانه؟

لم أستطع أن أخبرها.

هدأت من روعها، ووعدتها أني سوف أتكفل بالأمر فأنا محامٍ حاذق.

عادت إلى جناحها تجر خطاها،

وتركتني غارقا في لجة قصتها،

بعد يومين من التحري، اتضح أنه غادر البلاد.

أخبرتها بكل شيء، فجثت باكية على ركبتيها.

أردفت بصوت مشحون بأسى:

-لقد خرجت من ذمته، ومددت لها الظرف.

انهارت قواها فهي لا تعرف في المدينة أحدا.. قريتها بعيدة، ولا تحفظ أرقام أقربائها.

تكومت الدموع في عيني وعبثا حاولت أن أردها.

بعد يومين من المعاناة والحالة التي آلت إليها.

تذكرت رقم والدها، حاولت الاتصال به أكثر من مرة

دون جدوى، أخذت الهاتف مني ويداها ترتعشان، ودموعها تسيح على خديها:

-أرجوك أبي لا تضيعني هذه المرة أيضاً.

ضغطت الزر فسمعت الصوت. فأخذت الهاتف منها

حدثته أنا، وبعد ما قصصت عليه القصة، بكى وتوسل إلي أن ابنته "ورد" أمانة في عنقي.

بعد ثلاثة أيام قرع جرس الباب في أبكر الصباح.

كان النادل، وبجواره شـيخ كبير عانقني بشـدّة وهو يذرف دمعه: – "أين ورد؟"

أخذته إلى جناحها الخاص،

فسمعت صوت بكائهما فبكيت.

هزت كتفي:

– أدهم، أين شردت؟

أمسكت بيدها برفق:

– ورد ألا تذكرين هذا المكان

تذكري منذ عامين.

استدارت ثم حدقت بالمكان ملياً

رأيت دموعها تسيح على وجنتيها، ثم غطت وجهها بكلتا يديها.

وارتمت في حضني وهي تنتحب:

– أرجوك أخرجني من هنا.

فغيرت وجهتي إلى فندق آخر.

# كمامة

دلف إلى المنزل بعد يوم شـاق. ينفض الأتربة عن شـعره الأشـعث، وكتفه المتهالك

ركض صغاره نحوه يحدقون بيديه وتمتد أيديهم الناعمة إلى جيوبه فتعود خائبة خالية..

نادى بصوته الحاد:

– سمير تعال إلى هنا...

أقبل سمير، ابن اثني عشـر ربيعا، أسمر البشـرة، نحيل الجسـم، وعينان بنيتان.

–نعم، أبي أنا هنا

–خذ هذه النقود واذهب إلى البقالة واجلب لأخوتك بعض الجبن والرغيف...

وقف سمير مشدوهاً يتأمل ذلك الزحام أمام الصيدلية

جذب ثوب أحدهم إليه قائلاً:

-يا عم، هل يوزع الطعام هنا

ضحك الرجل ثم رد ساخرًا:

-ألا ترى أنها صيدلية؟

هم يتعاركون من أجل شراء كمامات وقفازات

خوفا من انتقال الوباء

ألم تسمع عنه يا صغيري؟

رد سمير ببراءة:

- ذهبت إلى المسجد فوجدته مغلقا.

فلمعت الدموع في عينيه، ثم أردف:

-لماذا يغلقونها وهي بيوت الله؟

كان الرجل ينصت إلى كلامه العذب، تبعثرت العبارات على شفتيه.

ثم تابع سمير:

- يا عم، هل هذه الكمامات والقفازات ستحمينا من الوباء؟

أجابه الرجل:

- الحامي الله يا ولدي، ابتعد عن الزحام وعد إلى منزلك.

شكره سمير ومضى

بعد أن اشترى كمامة، وقفازتين، ورغيفا.

زعق والده بصوت هز جدران المنزل:

-ما هذا؟

رغيف فقط!

أين الجبن؟

رد سمير بصوت يرتجف:_ اشتريت هذا وأشار إلى الكمامة والقفازين:

-قال لي أحدهم أنها ستحميني من العدوى بالوباء

هوت صفعة على وجهه، أسقطته أرضا ثم ركله بإحدى قدميه.

-هل سأطعم أخوتك هذا أيها اللعين؟

خرج سمير وهو يشحج من شدة البكاء، وقد تبللت كمامته بدمعه

جلس على الرصيف الشارع خال من المارة؛

الشمس تنحدر نحو المغيب.

وقفت سيارة فاخرة قبالته، ونزل منها رجل مهندم

مسح زجاجها بمنديل وهو يتأفف

اقترب سمير منه وبصوت هادئ: هل أستطيع أن أساعدك سيدي

استدار الرجل نحوه ثم قال:

_الزجاج متسخ حجب عني الرؤية يحتاج إلى تنظيف وورشة الصيانة مغلقة.

قاطعة سمير:_أنا أجيد تنظيف السيارات

سأجلب معداتي وآتي إليك.

ماهي إلى دقائق حتى أصبحت السيارة نظيفة تتلألأ لمعانا

أدخل الرجل يده إلى جيبه وأخرج مبلغا من المال ووضعه في يد سمير ونظر إليه مبتسما:

هذا أجرك أيها البطل

طار سمير من شدة الفرح وركض مسرعا إلى منزله

دلف إلى المنزل وهتف بصوت فرح:

"انظروا! لقد جلبت لكم الجبن والبيض وبعض الحلوى

ولدي ما يكفي لغد وبعد غد

تبسم والده وربت على كتفيه:

أحسنت، صرت رجلًا يعتمد عليك

سمير وقد رفع اللقمة إلى فيه: أووه لقد نسيت الكمامة والقفازات هناك في أقصى الشارع.

# بقايا قلب

نجوم السماء أقرب لكِ من الجامعة"

هزتني تلك العبارة حينما صرخ بها أخي في وجهي

عندما سمع حديثي مع والدتي عن الجامعة.

سمع والدي رد حسام، اقترب مني وربّت على كتفي مبتسماً

"تستطيعين الذهاب إلى الجامعة غدا، أنتِ أهلاً لها وأنا أثق في ذلك"

أثلجت صدري كلماته ومنحتني الثقة والسكينة.

استيقظت في أبكر الصباح أرتب أمنياتي

كان صباحا مفعما بالنشاط والأمل

أول يوم من مزاولتي الدراسة في الجامعة

كل شـيء كان غريبا بالنسـبة لي، ذهبت برفقة والدتي فأنا غريبة عن المدينة ولا أعرف أحدًا فيها

دخلت البوابة انتابني شعور غريب. تذكرت كلام حسام " أتسمح لها أن تختلط بالشباب"

قلت في نفسي: لا ضير ما دمت محتشمة.

دخلت القاعة مرتبكة، جلست في المقاعد الخلفية

امتلأت القاعة بالطلاب، جلست بجواري ريم تعرفت عليها وتحدثت معها قبل دخول الأستاذ الذي أرعد وأبرق دون أن أفهم منه شيئا إلا تهديدًا ووعيدًا.

يومًا بعد يوم زادت علاقتي بريم، وصارت قريبة مني.

ريم فتاة بشوشة تتحدث مع الجميع فالكل يكن لها كل الاحترام فقد كانت مطلقة وأما لطفل على الرغم أنها أكبر مني بعامين.

أنصت لحديثها ومعاناتها، وأحيانا أشاركها البكاء حينما تبكي شوقا لولدها ابن الخامسة الذي لا تراه إلا في الشهر مرة رفض أهلها أن يكون معها بعد أن تزوج والده.

أخفف عنها ما استطعت، وأشغلها بالمراجعة، فقد كانت مهتمة بدراستها

-ريم، أريد دفتر محاضراتك

ردت: حسناً، يا طارق ذكرني حينما نغادر القاعة.

بين الفينة، والأخرى أسترق النظر إليهما وهما يتحدثان فتقع عيني في

عينيه فيبتسم

فاتركهما وأذهب

انتظرتها وكدت أفقد صبري

-هل تأخرت عليك يا سوسن؟

- ليس كثيرا، فالمرة القادمة لن انتظركِ

تعرفين أنني أشعر بالخوف حينما يحاذيني أحدهم

أو ينظر إلي أحسدك على شجاعتك

ضحكت ريم ثم أردفت:

-أنتِ خجولة، والجميع يخاف منكِ

على الرغم من تفوقكِ، وتميزكِ!

تحدثي. لم هذا الانطواء والخوف؟

ستمر هذه السنوات سريعة وستبقى الذكريات الجميلة احتفظي بشيء منها

زمجرت قائلة:

-أنا هكذا لا أريد أن أتغير

وأنتِ ما قصتكِ مع طارق؟

وحديثكما الطويل

ضحكت، ثم ردت:

-تعرفين، أعرف طارق أكثر من نفسي

ابن جيراننا، شاب خلوق ومهذب، ليت كل الشباب مثله

صار هذه الأيام يحدثني كثيراً

قاطعتها:

-تقولينها بعظمة لسانكِ!؟

ردت بصوت مشحون بالأسى:

-أنا أحببت شخصا صنع في خاصرتي جرحا لا يندمل ثم استرقت من عينيها الواسعتين دمعتين.

- طارق يحدثني عنكِ ألا تلاحظين نظراته واهتمامه؟!

بحلقت بعيني، وتسارعت نبضات قلبي

- ما هذا الهراء أراكِ تهذين بكلام سيغضبني؟

كنت أظن أنكِ مختلفة عن الجميع ابتعد عنهن لأن حديثهن لا يروق لي واخترتكِ أنتِ رفيقتي.

أنا جئت هنا للتعلم لست راغبة بأحد

ثم تركتها وذهبت.

مر يومان دون أن أتحدث معها على الرغم من محاولاتها.

وزاد غيظي حينما رأيت طارق يستوقفها

بعد أسبوع عادت المياه إلى مجاريها فقد اعتذرت لي وصفحت عنها.

مرت السنوات سريعة، وما زادت طارق إلا إصرارًا

حاولت صده بكل الوسائل دون جدوى.

ريم وهي تبكي:

-طارق تعرض لحادث مروري..!

صرخت دون أن أشعر. هل مات؟

ردت:

- لا أدري بحالته.

لم أنم ليلتها، وبكيت حتى جفت مدامعي.

في الصباح جلست في المقاعد الأولى في المدرج انتظر ريم.

سمعت صوت أحدهم:

- ألا تقولين لي "الحمد لله على السلامة "

كانت يده اليسرى معلقة إلى عنقه

انتفضت:

- طارق! كيف جئت؟

رد جئت من أجلكِ، فاليوم عيد ميلادك.

انطوت الأعوام ومرت كغمضة عين، وأصبحت ذكريات كما قلتِ يا ريم، لكنها مثقلة بالوجع ..تصحبني معها كل ليلة، نتسامر أنا، وهي، والليل والسهد، والقمر، والدموع.

لم أنس تلك اللحظة التي زارنا فيها وهو مبتسم فقد وعد وأوفى بوعده.

عندما أكمل حديثه رد أبي:

- لا أزوج ابنتي لشخص مازال يبحث عن عمل. عندما تجد الوظيفة، وتملك بيتا يليق بابنتي، وتدفع مهرا يتحدث الناس عنه اطرق الباب وقتئذ لكل حادث حديث.

ثم صك حسام الباب بقوة في وجهه.

هاتفني بعدها وهي المرة الأولى بعد تخرجنا وهو يقول:

- عديني أن تنتظريني، سأغترب وأجمع المال

وأحقق كل ما طلبه والدك، وأعود إليكِ.

عديني ألا تخذليني.

كانت كلمتي الوحيدة التي نطقتها وقد اغرورقت عيني بالدموع:

-أعدك، أعدك يا طارق

وها أنا ما زلت على الوعد.

لم أعلم أنه ذهب إلى جبهة القتال،

وباع نفسه من أجل أن يحقق ما طلبه والدي

دروع بشـــرية هم مقابل راتب مغري قد يمكنهم من أن يبنوا حياتهم.

وقد يرحلون دون أن يذوقوا طعم الحياة التي أرادوها

انقطعت عني أخباره بعد أن تزوجتِ يا ريم

ليتني رفضته ليتزوج غيري ويعيش.

قدم روحه قربانا لحبٍ سرق من بين أيدينا.

سقى الثرى بدمه وعانقت روحه عنان السماء

فاضت روحه إلى باريها لتشكوا له الظلم والجور.

-أما زلت تذكرينه؟؟

-نعم، أذكره.

دلفت اليوم إلى منزلكِ كانت نافذة غرفته مفتوحة اعتدت أن أراه خلفها في كل مرة كنت أزوركِ فيها.

خيل لي أنه قابع هناك ينظر إلي مبتسما

تجاوزت الثلاثين ومازلت انتظره.

مات الرجال في عيني من بعده يا ريم.

# قتل حلمي

كانا يتشاجران، زجرها بعنف:

-سوف أمنعكِ من دخول الجامعة لن أدعكِ تواصلين دراستكِ.

لم أنتبه إلا وكفي على خده

صارخة في وجهه:

-ومن أنت حتى تقتل حلمها؟!

تسمَّر أمامي ودموعه في عينيه،

-سعاد: أماه؛ هو يمازحني!

-نبيل: نعم؛ يا أماه أنا أمازحها

هي أختي كيف أقتل حلمها؟!

أفلتُّ يدي وقد تجمدت.

آه..

تلك الكلمات أدمت جرحاً مرَّت عليه السنون. نشأتُ مدللة وحيدة

بين ثلاثة أولاد، ومتفوقة في دراســـتي وهذا كله كان كافيا لســـعادة والدي وفرحته بي، فغالبا ما كان يناديني:

نور الدار.

لطالما حضر معي إلى المدرسة في حفلات التكريم، فقد كان يفاخر بي كثيراً.

كنت الوحيدة بين فتيات العائلة، التي يشـــجعها والدها على التعليم، فبنات عمي تزوجن وهن في المستوى الإعدادي.

كان حلمي أن أصبح طبيبة،

كما كان حلم والدي، كما كنت أحدثه دائما أنني ســـأحقق حلمي وحلمه.

يوفر لي كل شـيء أحب الكتب أكثر من حبي للملابس، ففي غرفتي مكتبتي الخاصـــة وفي كل عيد ميلادي يهدي لي والدي مجموعة من الكتب التي أعشقها.

تقدم لخطبتي ابن عمي فرفضـه والدي، وتسـبب ذلك في مشـكلة بين أبي وعمي كل ذلك لم يمنع والدي بأن يكون بجانبي ومعي.

في المرحلة الثانوية تميزتُ أكثر، ورفعت رأس أبي كما كان يقول لي:

-أنتِ من سيرفع رأسي عاليًا.

كان يجلس يسامرني في غرفتي، يشاركني تفاصيل يومي بدقة، وفي ليلة ما صحوت على صراخ أمي وأبي أمامها دون حراك مات أبي إثر نوبة قلبية كنت في بداية السنة الأخيرة من الثانوية.

شعرت يومها كأني دفنت قلبي مع أبي، لم أعد أشعر بأي شيء، لقد فقدت من كان لي الحياة.

حاولت أن أحافظ على مستواي الدراسي وأخرج بمعدل يؤهلني لدخول الجامعة وأصبح تحقيق حلمي عهداً قطعته لوالدي.

بذلت قصار جهدي ونجحت بأعلى معدل.

عدت إلى كتبي أقرأها واستعد لدخول الجامعة.

لكن، حدث مالم أتوقعه صدني، أخي الأكبر عن الجامعة بكل صرامة رفض بحجة أنني الوحيدة من بنات العائلة التي تريد مواصلة الدراسة، وهذا في عرفهم خروج عن الأعراف.

توسلت إليه؛ صرخت إنه حلم أبي أريد تحقيقه لكن لم أسمع صدى لصوتي، فأيقنت يومها أن حلمي دفن مع أبي.

هرعت إلى غرفته وسكبت دموعي على سريره واحتضنت نظارته، وكتبه، وبكيت حتى
بللت أوراق الكتب.

حزنت أمي، ورثت لحالي لكنها كانت عاجزة عن فعل شيء
فقد ساءت حالتها بعد فقد أبي وازدادت سوءًا حزنا على حالي.

أدمنتُ العقاقير الطبية، فنوبة الصداع كانت تجتاحني كل ليلة.

بعد عام، غادرتني أمي ولحقت بأبي سريعا فقد ماتت كمداً، وألماً لما حل بي من كمد.

كنت أتصنع الابتسامة معها،
فتضع كفيها على خدي وتهمس لي:
-يا نور داري مال ضوؤك خَفَت
وهجه.

كنت أختنق بالعبرة أمامها فتشعر بي فتبكي قبلي،

رحلت وتركتني وحيدة أصارع تلك الهواجس التي صرت حبيستها حبيسة غرفتي؛ أتملى كتبي، فقد أصبحت ذكرى مؤلمة لحلم مات بين يدي.

نظرت في المرآة فلم أعرف نفسي، شاخت ملامحي؛ وشقت التجاعيد وجهي عشرينية في صورة خمسينية.

تزوجت من رجل أعمال يكبرني بعشـــرين عام، كان تاجراً وصـــديقا يتقرب منه أخي.

قبلت بالهروب من اللاشيء إلى اللاشيء.

انبهر بجمالي ودللني كثيراً،

وحاولت أن أنسى كل شيء

تناسيت ولم أنسَ، أنجبت منه نبيل، وسعاد، فكانا لي تلك القشة التي تعلقت بها لتنقذني من بحر الكآبة.

بدأت أتنفس الحياة من جديد أحاول أن أخرج من بين أنقاضي،

أن انتشـل ما تبقى من نفسـي من وسـط ذلك الركام أن أصـعد تلة الأمل لأرى الحياة أجمل.

لكنني عدت مرة أخرى إلى المكان الذي كنت فيه،

وكأن الأيام تغار أن تراني أبتسم.

فجأة ودون مقدمات غادرني أبو نبيل بحادث مروري،

تلك اللحظة بلورتني من جديد، ورمت بي في حضن الوحدة والانزواء.

وعادت دمعتي تذرف من جديد تبكي حلم قتل في مهده ولوعة فراق الأحبة لم أحتملها.

-أماه أرجوكِ سامحيني لم أقصد شيئا. احتضنته وأنا أبكي: -سامحني أنت يانبيل.

# فوبيا المصعد

أول يوم من مزاولتي للعمل في شركة مرموقة كانت الدنيا لا تسعني فقد تحقق حلمي

تجولت فيها قبل دخولي للمدير لفت انتباهي صوت المصعد وقفت أمامه، وضحكت

عادت بي الذاكرة إلى ما قبل عشرين سنة

نشأت، وترعرعت في البادية بين الحقول، والجحور، وتسلق الأشجار، ومطاردة قطيع الأغنام، فكان لي في كل يوم مغامرة مثل مغامرات ماوكلي

كنت ارتاد المدرسة في الصباح، وتبدأ مغامراتي بعد الظهيرة.

انتقلت إلى المدينة مع عائلتي من أجل عمل والدي، ولأكمل تعليمي هناك

في المدينة اختلف كل شيء الشوارع، والمباني العالية، وضجيج السيارات.

التحقت بمدرسة في المدينة كانت مميزة

لمع فيها اسمي فقد كنت في ركب المتفوقين

لم أكن أملك المال الكثير، فمن ملابسي يعرفني من ينظر إليها إلى أي طبقة انتمي على الرغم من ذلك كان مهند يتقرب مني، فكنت أساعده في حل الواجبات، وأشرح له بعض الدروس التي لا يفهمها

كان يحدثني عن شركة والده، ومنزلهم الفاخر

ومرة قال لي: في بيتنا يوجد مصعد

كانت تلك الكلمة بالنسبة لي تحتاج إلى ترجمة

فأنا ابن البادية

تسرعت في السؤال

قلت له:_هل تلعب معه؟!

ضحك، وسقط على الأرض من شدة الضحك!

وأخذ يحدث التلاميذ وأصبحت مسخرة بينهم

تمنيت يومها أنني مت

اقترب مني أحدهم: _المصعد يوجد في المباني العالية.

لم أفهم ما قصد، وتركتهم يضحكون، وابتعدت عنهم وصرفت' وجهي

عن مهند.

كنت كلما مررت بجوار مبنى مرتفع أول ما يتبادر إلى ذهني يوجد في هذا المبنى مصعد.

مرضت أمي وذهب بها أبي إلى مشفى المدينة ورقدت أمي في المشفى أسبوع فقد كانت متعبة

ذهبت مع أبي لزيارتها فكانت المصادفة أن المشفى كان ذو طوابق عالية،

فقلت في نفسي سأجد المصعد هنا

كانت أمي ترقد في الطابق الأول،

وقفت على باب الغرفة أنظر للمارة في المشفى' فشد انتباهي ذلك الباب الذي يدخله الناس ويخرجون منه ليسوا هم!

لم أفهم شيئا ركضت إلى أبي وأمسكته بيده قلت له:_ تعال لأريك ذلك الشيء العجيب يدخل فيه الشخص، ويعود شخصا آخر،

وحينما رآه أبي عاد إلى أمي يضحك

عدت إليه وقد قطبت حاجبي وضممت شفتي غاضبا

_ذاك مصعد يوجد في المباني العالية

ليصعد بهم إلى الطوابق المرتفعة، يحتوي أزرارا تعمل بالكهرباء.

فهمت حينها وخجلت من نفسي، وعرفت لماذا ضحك زملائي،

تلك الليلة نمت أنا وأبي عند أمي

لم تذق عيناي النوم اســـتيقظت، وفي حب المغامرة أردت أن أدخل المصعد.

وقفت أمامه ففتح على مصراعيه، فدخلت

دخل معي أحدهم فرأيته يضـــغط على تلك الأزرار ثم خرج، وبقيت أنا في المصعد

عبثت بالأزرار فكـان يـذهـب بي من طـابق إلى طـابق حتى تعبت وماهي إلا سـاعات حتى توقف عاودت ضـغط الأزرار، وأنا أقول عد بي أيها المصعد إلى أبي لقد تعبت،

فتحت عيني ورأيت أبي بجواري وأنا على الســرير وجهاز التنفس على فمي

يومين في العناية بعد أن كدت أفقد حياتي فقد كنت حبيس المصــعد من منتصف الليلة إلى الفجر بعدها فقدت وعيي.

منذ ذلك الحين كلمة المصـعد تسـبب لي فوبيا مرعبة لم أصـعد بعدها

المصعد أبداً.

انتبهت على صوت أحدهم، أنرت الشركة

– أستاذ علي، تعال المدير يريدك.

# طوق الياسمين

مالت برفق على جانب من سريرها، تتحسّس حواشيه، إلى أن لمست يدها صـــندوقها الأثير والصـــغير، فجذبته من تحت الســـرير بلطف وعيناها تتأملانه كأنها تراه لأول مرة.

اعتدلت في جلستها وشرعت

تفتحه بعناية فائقة، وقد ضـــمته بكلتا يديها، فنثر الحنين غباره حول أجفانها الذاوية، رفعت دفته نحو الأعلى، فوقعت أناملها على كتابٍ قديم، فأخذته من الصـندوق الصـغير كأنها تحمل وليدها، تسـارعت نبضـات قلبها ورفّت أهدابها وهي تفتحه وتقلب صـفحاته، فاسـتقر بصرها على قصاصات من الورق بين الصفحات، قصاصات صغيرة، ولكنها تحمل لها الكثير من الســـطور التي تلتهمها عيناها فتروي ظمأها، وبين كل قصاصة وأخرى بعض زهرات الياسمين اليابسة، فاح عطرها فاخترق أنفها وتنفسـت شـرايينها وسـرت حرارة في جسـدها حتى كاد ينفجر، حضـــنت الكتاب بلطف إلى صـــدرها تهدئ من

فورانه، وضمّت القصاصات إلى شفتيها تلثمها، إنها سنون عمرها التي طوتها بين طياته، فبكت حتى جفت دموعها وبللت آخرُ دمعة كلماتِ الوداع الأخيرة على آخر قصاصة .

مر بذاكرتها شريط سريع من تلك الأيام الخوالي، حين كان لقاؤها الأول به قرب شجرة الياسمين المتكئة على سور حديقة بيتها.

كان ينتظرها كل يوم وفي نفس الموعد، فتشرق شمس يومه على ثغرها المبتسم، فيبادلها الابتسامة، وعيناه تحدقان في صمت بتقاطيع وجهها النضر، وبوجنتيها الورديتين، وما أن يضع لها رسالة بين زهرات الياسمين، حتى تتملّكها اللهفة فتأخذها، وتضع مكانها رسالتها الوردية الصغيرة .

فتلوذ إلى الليل تحكي لتلك الزهرات ما بين السطور، تروي لها شغف قلبه بها، فتهيم بين النجوم تتلمس وجهه وتبحث عن بصيص أمل يوصلها إليه، إلى أن يغالبها النعاس، فتنام على أمل لقاء آخر ورسالة جديدة تحمل إليها عبق الياسمين وعطر أنفاسه، فتنتشي بأحلام لا نهاية لها.

حدّث أمه بشغف عنها، عن حبه لها، تطايرت السعادة من عينيه

وهو يحكي عن طوق نجاته.

لكن حدث مالم يتوقعه، فأمه لا تريد له من البنات إلا ابنة أختها زوجة له، توسّل إليها، ولكنها خيّرته بين السخط والرضا.

صرخ في وجهها:

- كيف أتزوج بواحدة وقلبي مع أخرى؟!

لم تأبه لكلامه ردت عليه بكل صرامة وجبروت:

- لا يمكن، مستحيل هي مسألة حياة أو موت، فاختر ني أو اخترها.

لم يستطع والده أن يواصل الوقوف في صفه، فالقرار الأول والأخير بيد الأم، فاغتيلت سعادته عند أول منعطف، فاتخذ قراره.

في الصباح استيقظت أمه ولم تجده في فراشه، ولكنها وجدت مكانه رسالة تحمل إليها خبر مغادرة وليدها البلد إلى وجهة غير معلومة، ليكمل دراسته.

خيّم الحزن على والديه، وارتدى البيت السواد بكت أمه بحرقة، فقد غادرهما دون وداع بعد أن وضع لحبيبته رسالة وداع تحت أغصان شجرة الياسمين العتيقة.

تملكها الحزن ذاك الصباح، لم تجده كعادتها في مكانه، ولكنها عثرت على رسالته بين أغصان الشجرة وفوقها طوق ياسمين، فتحت الرسالة وأوصالها ترتعد واستحال حزنها جزعا قرأت:

" لم أستطع أن أفي لك بوعدي فتركت الديار، فأنا لا أستطيع أن أعذبك أكثر. سأظل على العهد ما حييت "

لم تنم تلك الليلة، بكت بحرقة فارتوى طوق الياسمين من دمعها الحارق.

انقضت خمس سنوات منذ أن غادرها و اجتث معه قلبها من مكانه لا تزال على وعدها.

كل يوم تذهب إلى شجرة الياسمين تسألها عنه، تساقط زهراتها ذاوية تعانقها وتخفف من ألمها ذبلت، أسرعت بها السنون، وكأنها أمس.

سمعت بعودته، أخيرا!

استيقظت باكراً، فارتسمت ابتسامة الفرح التي غادرتها منذ سنين.

انتظرته هناك، حيث كان لقاؤهما الأول.

كانت تحمل بين يديها طوق ياسمين صنعته للتو

المكان مكتظ بالمارة، تعبت عيناها من البحث عنه بين المارة، ذبل

الطوق

فأطرقت رأسها وتعلقت دمعتان صغيرتان على أهدابها

انتبهت على صـــوت تعرفه، قادم من بعيد أيقظ حلما دفينا منذ سنين،،

أعاد النداء:

– ياسمين انتبهي ستقعين يا صغيرتي!!

كانت طفلة تتقافز كالغزالة، تنطّ حول قدمي أبيها، إنه هو. تتأمل حلمها الذي يتبخّر أمامها.

ابتســم وهو ينظر لامرأة شـقراء، عيناها زرقاوان وقد لف ذراعه حول خصرها الرشيق، مرّ أمامها فعصف بكل ما تبقى من كيانها.

صرخت مشدوهة بصوت خافت: –هو، نعم. إنه هو.

توارى عنها، وصدى ضحكاته مازالت تطرق مسامعها.

ارتجفت شـــفتاها، تلاشـــت الدموع من عينيها كما تبدّدت العهود والأحلام.

وارتعشـــت يداها، ســـقط طوق الياسمين من يديها فتناثرت زهراته مغادرة بتلاتها، مُشيّعة حبا مات في حضن الخذلان.

# الغصن والعصفور

رفرف عصفور جميل حول شجرة..

لفت انتباهه غصن يهتز والأغصان ساكنه.

حاول أن يسكن إليه لكن الغصن اضطرب أكثر.

طار العصفور،

والحيرة تملؤه..!

ما بال ذلك الغصن؟!

عاد إليه وفي كل مره يحاول أن يستقر عليه.

همس العصفور للغصن:

ما بك؟!

ما قصتك؟ ما بال نسمة تهزك؟

رد عليه الغصن:

لا تقترب مني، فأنا غصنٌ لا يحب السكون، لا أريد أحداً أن يسكن إلي.

لا أقوى على الفراق.

الوداع لا أطيقه

الوجد أبغضه

نثر العصفور لحنه؛ فبدأ الغصن يسكن.

رفرف العصفور احتفالاً.

عاد الغصن يهتز اختيالاً.

همس العصفور للغصن: وجدت سعادتي بقربك.

سكنت إليك!

فأنا قد جئتك من أصقاع الأرض ترحالا.

هنا رحلتي انتهت إليك.

رد الغصن: لا، أنا لا أستطيع السكون، أبحث لك عن غصن آخر فالغصون كثير.

هبّت عاصفة عاتية اضطربت الأغصان، وعلق العصفور بينها.

تعلق بالغصن المهتز فسكن

فقد خاف أن يؤذيه.

حاول جاهداً أن يحميه بأوراقه من تلك العاصفة.

نجا العصفور.

رفرف حوله:_مدين أنا لك بحياتي أيها الغصن المهتز.

كان يأتيه كل يوم.

ينثر ألحانه العذبة؛ يسكن الغصن.

ضرب العصفور بجناحيه حوله:

سأغيب عنك

لا تخف سأعود

سأسكن إليك

لكن الغصن حزن.

أبرم العصفور وعداً أن يعود.

قطع الغصن وعداً أن يظل ساكناً حتى يعود إليه

طال الغياب.

أسقطت ليالي البين أوراق الغصن.

نسي كيف يهتز!

هو على العهد باقٍ عصفت الرياح بالأغصان فتمايلت.

أبى الغصن إلا السكون فاشتدت عليه رياح الشوق فانكسر.

# خريجة

"ضعيفة الشخصية" هكذا كانت تنعتني صديقتي عهد

معها حقا

فأنا لا قرار لي

تخرجت من الثانوية كان شغل أمي الشاغل متى يطرق الخطاب بابي فقد تزوجت أغلب فتيات الحي وأتعسهم حظا حسب قول أمي كنت / أنا /؛ فصاحبة الحظ الوفير من يطرق الخطاب بابها ومازالت في الإعدادية

تتجمع نساء الحي عند أمي وليس لهن حديث إلا الخطوبة والزواج.

قررت دخول الجامعة جن جنون أمي:

-" ستصبحين عانساً لا أحد سيرغب بالزواج منك

الجامعيات يا ابنتي يفوتهن قطار الزواج وهن مشغولات بالجامعة."

ضحكت حتى أمسكت بطني غضبت رمتني بحذائها

-"أنت لا تعرفين مصلحتك."

رفضـــت البتة أن ألتحق بالجامعة لكنني أقنعتها أنني ســـأتركها متى ما تقدم خاطب.

طاب خاطرها ووافقت بعد مشقة

وسمعت إحداهن تحدثها:

-" دعيها ربما يعجب بها أحدهم يأتي لخطبتها ما أدراك."

قالت أخرى:

-" وقد تستطيع أن تأتي هي به "

شدهت أمي من قولها:

-"كيف تأتي هي به؟!"

أكملت المرأة:

-" توقعه في حبها فيأتي لخطبتها " وغمزت لأمي بطرف عينها

تمتمت في نفسي:

"إن كيدكن عظيم"

لم يكن يشغلني شيء سوى أن أكمل تعليمي فقط

لا تهمني صيحات الموضة

ولا شد الانتباه بلباسي فقد ترعرعت على الحشمة والحجاب

أكملت السنة الثانية وأنا أدعو أن يتأخر ذلك الطارق حتى أصل إلى مرادي في حفلات الأفراح التي أذهب إليها مكرهة

لا بد أن ألبس أحســـن الملابس لأن إحداهن تبحث عن عروس لولدها كنت أشعر أنني سلعة أعرض للبيع

تقدمني أمي لكبيرات السن، فهن خبيرات بالخطاب

بدأت أسمع كلمة عانس من أمي حينما مرت ســـنتان دون أن يتقدم لي أحد.

لم أتجاوز العشرين، لكنني شعرت أنني كبرت، فآخر صديقاتي تزوجت وهي أم لطفلين

طرق الباب بشدة

-" يا أم وعد أبشـري لقد جئت لك بعريس". هشـت أمي وبشـت وتهللت أسارير وجهها.

العريس الذي جلبته أم أحمد مطلق، ويكبرني بعشرة أعوام!

وافقت عليه تحت ضغط أمي بعدما صبت وابل غضبها علي

قالت إنه وافق أن أكمل تعليمي وأنه مثقف وسيساعدني في دراستي

لم نعرفه ولم نسأل عنه لكنه كان أول طارق

كما قالت أمي:

/هو المقعد الأخير في القطار /

تزوجت وهربت من شبح العنوسة

كان ينتظرني شبح آخر لم أسمع به.

لم يكن قفصا ذهبيا كما وصفوه،

كان زنزانة ذقت فيها ويلات العذاب

أهذا السكن والأمان الذي كانت أمي تحدثني عنه؟!

أهذا الذي يشد عضدي والغطاء الذي يسترني وأصبح في كنفه محصنة

جئت مرة إلى أمي أبكي وكشفت لها عن عضدي وأجزاء من جسمي

فقد ضربني أكثر من مرة:

-" لن أذهب إليه سأبقى عندك

أريده أن يطلقني!"

زجرتني بعنف:

-" ماذا؟!

أقسم إن أعدت ما قلت سيقتلك أبوك ليس عندنا بنات يتطلقن.

أتريدين أن يشمت الناس بنا

هل حدث لعقلك شيء.؟!"

وتابعت بصوت أقرب للهمس

" عهد تشكو لي زوجها الذي ينام طوال النهار وفي الليل يسهر مع أصحابه حتى الفجر وهي خادمة لأمه التي تصرف عليهما؛

ومنى زوجها سافر بعد زواجها بشهر وتركها حبيسة أربعة حيطان

أما نجوى فقد تطلقت بعد سنة

وأمجاد قتل زوجها وهي حامل بالطفل الثالث"

كانت تصبرني قليلا أخبار صديقاتي

لكن على الرغم من ذلك كان مصابي جلل

فلا يضرب المرأة إلا لئيم

فكيف لي أن أعيش مع شخص لئيم

بعد ثلاث سنوات ركلني خارج الباب ورمى علي يمين الطلاق

كان فرجا ومخرجا فرحت كأسير أطلق سراحه بعد أن حكم عليه بالسجن المؤبد..

عدت إلى جامعتي وكان قراري الأول الذي اتخذته

بكل حزم.

اليوم تخرجت شعرت فرحة لم تغمرني من قبل.

حققت ما كنت أصبو إليه سأسير قدما نحو طموحي

سلمت عليهن وعطرت رأس أمي بقبلة

باركن لي فأنا أول خريجة في العائلة.

-" لقد تخرجت يا أماه."

هزت أمي رأسها والدموع تلمع في عينيها

ردت خالتي:

-"كذلك أول مطلقة في العائلة"

# سمراء

أيقظني صرير الباب، دلفت إلى الغرفة، غرقت في ظلامها الدامس
أشعلت شمعة وتركت أربع شموع على المنضدة
نظرت إلى صـــورة معلقة على الحائط؛ هي بجواره يتأبط ذراعها وينظر إليها مبتسماً وهي في فستانها الأبيض كالأميرة
مسحتها بأناملها ثم أجهشت بالبكاء.
على المشـــجب مازال معطفه معلقا، نفضـــت عنه الغبار، احتضـــنته وغسلته بدموعها
منذ غادرت هذه الغرفة برفقته لم تنظر إلي أبدا نسيت حتى ملامحها
كانت تقف ساعات تسرح شعرها الفاحم وتدور حول نفسها وهي ترتدي فســـتانها الأســـود القصـــير يمازحها تنظرين إلى المرآة أكثر من نظرك في وجهي
ضحكت: -"أتغار منها ؟!"
-" نعم

-"انظر ألست جميلة؟!

-" اسألي مرآتك!

- " مرآتي تقول إنني أجمل فتاة.

-" لكنك سمراء"

تزمّ شفتيها غاضبة

يلفها بذراعيه

-" سمراء وأنا مجنونك."

تتعالى ضحكاتهما

سمعت أزيز صدرها ورأيت يداها ترتفع إلى عينيها

هبت نسمة باردة فحركت ستارة النافذة كان القمر متسقا في كبد السماء.

هرعت إلى النافذة وأغلقتها

"لا تبزع أيها القمر لا أستطيع النظر إليك مفردي،

لا أريد نورك يصل إلي أنا عتمة لا أريد ضوءاً

نجمة شاردة تلاشى وميضها

خمس سنوات أيها القمر تطحنني رحى الانتظار؛

اشتاق لصوته لكي يعيد لي توازني "

تهادت وهي تهمهم بكلام بالكاد يسمع ألتحفت بردائها وقرفصت

ذابت الشمعة من حرارة زفراتها.

طلع الشفق وهي على حالها

هل غفت؟

كيف تغفو وأكتافها تهتز

اضطربت حين ومض هاتفها ثم رمت به

تمتمت: ليته هو، ليتني لم أسأله ذلك اليوم أين هو؟!

أين أرضه؟

أي سماء يلتحف!

انقطع صوته، أحدهم انتزع الهاتف منه

وسمعت أصوات سلاسل.

لم يسألني ما بال صوتي مبحوح.

لم أخبره أني أسقط أرضا، وفقدت وعيي لساعات،

كان الشجن، والحنين في نبرات صوته..

غطت شعرها المنسدل على كتفيها وحاذتني

استرقت النظر إليها، وجه شاحب وطرفه، مخضل، وتحت عينيها هالة داكنة من الأسى

أغلقت الباب وغرقت في الظلام مرة أخرى.

# رسائل

بدأت تمطر، فتذكرتكِ،

تقبل قطرات المطر رفوف نافذتي، تتزحلق على زجاجها، ستائرها من خيوط العنكبوت التي نسجتها منذ عامين.

غيمة تمطر يا غيمة.

فتحت عيني الناعستين، عبق المطر أبى إلا أن يذكرني بكِ، مازالت صدى ضحكاتكِ تطرق مسامعي، شعركِ الأسود المنسدل على كتفيكِ المبلل بزخات المطر يلوح لي..

وأنا من خلف نافذتي استنشق عبقكِ، وبين الفينة والأخرى يرفرف طرفكِ الكحيل فيخفق قلبي، وأغرق على ضفاف ثغركِ الباسم.

فأيكما الغيث يا غيثا يروي أعماقي الجدباء.

انتفضت وعانقت رسائلكِ. كل تلك الرسائل مازالت في حوزتي بكل ألوانها، وأحب اللون الأصفر منها لأنه لونكِ المفضل، لا أميز بين تلك الظروف، لكنني أحفظ الرسائل التي تحتويها، حرفا حرفا، أقرأها

عن ظهر غيب.

كلما أمطرت هرعت إلى احتضـــان ســـطورِكِ، لأسمع صـــوتكِ وأرى دموعكِ فيها،

حينما كنا نلتقي أو أودعكِ تنهمر دموعكِ،

فأضحك،

فتعاتبيني ثم تغضبين،

فأمسح حبات دمعكِ المتناثرة على وجنتيكِ المتوردتين وأهمس لكِ:

– كفى يا غيمة لا تمطري فأغرق أكثر.

غرقت، نعم غرقت في غياهب أحزاني

سرقتِ مني وأنا مكبل بقيود الفقر !

حفرت دموعكِ يوم زفافكِ قبري

ها أنا قابع هنا وحدي، أتنفس الذكريات

في السماء غيمة كلما زجرها الرعد بكت، مثلكِ تماما.

أنام غارقا في آهاتي،

هل يذكركِ الغيم بي؟

أما زلتِ تخافين صوت الرعد؟

ويبكيكِ لمع البرق؟

أما يزوركِ طيفي مثلما هو حال طيفكِ يسرق لذيذ نومي؟

يتسلل شعاع الصباح من شقوق نافذتي المهجورة كل يوم.

يهمس لي:_أطل خلف نافذتك غيمة.

كيف أطلُّ، وأنا الضرير يا غيمة؟

# رسالةٌ لم تُقرَأ

امتلأت الصالة بالحضور؛ توهجت الأضواء،

واتجهت الأنظار إلى المنصة، دوزنت الموسيقى،

ثم عم الهدوء وسمعت صدى اسمي تردده في كل زاوية من زوايا المكان، علت هتافاتهم ورشقوني بالورد وأنا أشق طريقي إلى المنصة.

هناك وأمام الجميع تاقت عيوني بالدموع، تبسموا وظنوا أنها دموع الفرح؛ إلا أبي لم يبتسم وسحت دموعه من عينيه.

مرَّ بي شريط الذكريات وقتئذ، تذكرت حينما عاقبتني بعدم الخروج واللعب مع أصدقائي لأن درجاتي في الاختبار كانت منخفض، تذكرت سهرك بجواري في السنوات الأخيرة من المدرسة.

نمت ذات مرة مرهقا والكتاب بيدي على المنضدة ووجدت نفسي على سريري

عندما صرت شابا تمردت، نعم تمردت

كسرت كل تلك القوانين، صار صوتي أعلى من صوتكِ. أرمي

بملازمي أمامك، وأغادر المنزل إن طلبت مني الاجتهاد أكثر، فتطفر الدموع من عينيك، وتتمتمين بكلام لست أفهمه.

أرمي ملابســـي هنا وهناك، وغرفتي أغادرها وهي مقلوبة رأســـا على عقب.

أتأفف إن لم يكن الطعام على المائدة سريعا حتى لا أضيع فسحة مع الأصدقاء

أعود إلى البيت قبيل الفجر، فأجدك خلف الباب منتظره. فلا آبه بقلقك، ولا أجيب عن حيرتك التي تنطلق من أحداق عينيك.

أدلف إلى غرفتي وأدفع الباب بقوة، غير مبالٍ بوجهك الشـــاحب، وشفتيك المرتعشتين، ونشيج صدرك الذي أسمعه كل ليلة حين أعود وإن كان أبي لي بالمرصاد لابد أن أتلقى صفعتين إحداهن تكون لك.

كنت أشعر بتأنيب الضمير أحيانا، لكن سرعان ما يتلاشى ذلك مع أول نفثة من سيجارة يناولني إياها صديقي أسعد .

رفضـــت دخول الجامعة ما لم أقتن ســـيارة فارهة، في الصـــباح جئت بعلبة، والابتســـامة الدافئة مرســـومة على ملامحك فقفزت إليك أقبلك فحضنتني بذراعيك النحيلتين ثم قلت:

إن لم تبهرني بتفوقك سأسحبها منك، فوعدتكِ وأخلفت وعدي لم تيأســي ولم تمل من الدعاء لي. رفقك حنانك، أنامللكِ الناعمة التي تمسح عن جسدي ذلك التمرد

فيقشعر بدني وأشعر بهمسك يختلج أعماقي:

يا رب رده لي وأبعد عنه رفقاء السوء.

لم أنس تلك اللحظة وأنت تحتضنين وجهي بكفيك وأنفاسك تحشرج: انتبه لنفســك "يا نور عيني "كن كما وعدتني أن يكون اسمك ضــمن الأوائل

لم أستوعب رحيلك بهذه السرعة، كل زاوية في البيت أنت، أقبّل كل شبر مشيت عليه لعلي أحظى بأثر قدميك.

لمَ أبتسم؟

ماذا أفعل بابتسامة أنت لا ترينها؟

لطالما قلتِ إن ابتسامتي تنسيكِ ألمكِ.

أمسك بسبحتك، أضم سجادتك فمازال عطركِ عالقا بها

أمكث كثير في مصــلاك أشــعر أنني في حضــنك فهو المكان الوحيد الذي كنت تلهجين فيه باسمي ليل نهار

ما زلت أحتفظ بثوبك.

خبأته في دولابي وبين مقتنياتي الثمينة

وحينا تشتعل نيران الشوق إليكِ أطفئها بأريج عطرك العالق فيه..

استجاب الله لدعاك وصرفني عنهم،

وتعرفت على رائد، فشمرت مئزري ولمع اسمي في الجامعة.

ومرت خمس سنوات، وأنا كأنني فقدتكِ بالأمس

ها أنا أكتب لك رسالتي الخامسة في ذكرى رحيلك

الذي يصادف يوم تخرجي، فابتدأت رسالتي به،

فأخضل طرفي وتبللت رسالتي إليكِ بدموع الشوق والحنين.

# فقدت بعضي

لم تتحدث لكن العبارات طفرت من عينيها.

لم أبدأ الحديث أردتها هي من تبدأ

غامت مآقيها.

فقلت في نفسي الآن تمطر:

لقد تعودت على بكائها كلما طلبت مقابلتي،

ولا نكاد نلحظ في شعرها التبرم ولعلها متصالحة مع واقعها وعادات مجتمعها، أملك إلا أن أجيب دعوتها على إكراه في نفسي.

هي تعي ذلك وتشعر به، وقد كنت صريحا معها

أنا لا أصلح للحب، أقضي جلّ وقتي في دراستي ووسط مكتبتي ألتهم الكتب.

لكن ماذا أفعل وقد باحت لي بمشاعرها؟!

ورضيت أن يكون حبها من طرف واحد!

أشفق عليها، فأنا مشاعري متجمدة هكذا ينعتني أصدقائي.

حينما يرون اهتمامها وتعلقها بي.

– تحدثي أسمعك يا ربى.

– ماذا هناك؟

ابتلعت عبرتها، وأشاحت بوجهها عني

أطلقت زفرة شعرت بحرارتها

وقفت ثم قالت:_ وداعاً لقد تعبت.

ظللت أراقب تهادي خطواتها واهتزاز كتفيها يبدو أنها تنتحب.

لم آبه لما حدث.

أردتها أن تبتعد عني لا أريدها أن تتأذى بسببي.

تملكني شيءٌ من الفرح ها هي قد ذهبت؛

حتما ستجد من يستحقها.

لم تكن قبيحة فحين تنظر في عيني تتســـع عيناها البنيتان المظللتان

برموش سوداء طويلة

حنطية البشرة، رشيقة القوام

تعبث بخصلة شعرها المنسدلة على وجنتيها حينما أصمت.

فأنا لا أتحدث معها إلا قليًلا

تتقافز أمامي كطفلة تلهو أمام أبيها

قاطعني وائل:_ تتحدث عنها كأنك وقعت في حبها،

وتكابر أن تعترف لها.

_تعرف مخطئ أنا إنني تحدثت معك.

في الليل أقلب رسائلها. ترتسم ابتسامة على ملامحي

طيفها يزورني عند غفوتي. صوتها يرن في مسامعي.

أصبحت لا أشتهي شيئاً، بين يدي كتاب لم أستطع منذ شهر أن أكلمه.

ماذا يجري؟؟

يبدو أنني متعب أحتاج إلى الراحة.

كنت أقنع نفسي بذلك، لكنني فقدت شيئا، وصرت أبحث عنه في دهاليز الغياب.

هل هذا الشيء الذي فقدته كان في حوزتي ولم أحافظ عليه؟

أم أنني أعاني من وعكة صحية؟

- لا لا حتما أنا متعب.

--تعرف يا رائد، منذ ذهبت ربى نحلت وشحب وجهك واا..

ـــيكفي كم مرة أطلب منك لا تفتح معي هذا الموضوع.

أقسم إنك تحبها، لم تظلم نفسك أيها الفيلسوف؟

تستطيع أن تضلل الجميع إلا أنا.

تركته وثرثرته، فأنا أقوى من أن أقع في الحب

وربى مجرد فتاة عابرة في حياتي

وقد ذهبت.

بعد أسبوعين.

ـــرائد بارك لي لقد خطبت

مبارك لك يا صديقي، سأرتاح منك

لم تسألني من المحظوظة؟

ـــمن؟

ـــربى..

ـــرررربى!! قلتها وأنا مرتبك

ـــنعم، أنا أحبها قبل أن تقع في حبك لكنها رفضتني وتمسكت بك

وبعد أن يئست منك

وتأكدت أنك لا تريدها، عدت وطلبتها للمرة الثالثة فوافقت..

شــعرت بشــيء يمزق نياط قلبي، شــيء يخترق أعماقي، تســارعت نبضاتي

كان الدم يتدفق بقوة في أوردتي

تنفست بصعوبة.

استعدت رباطة جأشي وقوتي وتبسمت:

_مبارك لكما يا صديقي

ثم انصرفت، وبللت ليلتها وسادتي بدمعي

كانت تلك الليلة عشية ميلادها، تذكرت رسالتها التي كتبتها لي قبل عام " نمت وأنا انتظر رسالة منك وإن كانت فارغة المحتوى"

"رسالة منك تصنع لي بداية عامي الجديد"

بكيت وشربت دموعي كم كانت مالحة وحارة وموجعة

أدركت أني فقدت بعضي دون أن أشعر

# أحمر الشفاه

تزهو بفستانها الزهري القصير

تطلب من أمها بدلال وغنج لتضع لها أحمر الشفاه

ترفض الأم وتعرض عنها، تضع يديها على عينيها العسليتين وتبكي دون دموع

يزمجر والدها:

ـــلم تبكين؟

تضحك أمها، وتشير إلى شفتيها

أخذها في حضنه وبكل عطف رسم أحمر الشفاه على شفتيها الورديتين الصغيرتين

فترتسم ابتسامة ساحرة على وجهها،

ويبادلها التبسم كعلامة رضا وحب

وضعت نظارتي بين دفتي الكتاب الذي بين يدي

تمتمت" أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين"

عادت بي الذاكرة إلى ما قبل عشرين عامًا،

كنت أتســـلل إلى غرفة أمي خلســـة وأعبث بأدوات زينتها، ألطخ وجهي بكل الألوان

تزمجر أمي غاضبة، فأرتجف، فتسيح دموعي على وجنتي فترسم لوحة كالشفق

تعبت أمي وهي تحاول أن تقنعني أن هذه الألوان لا تصلح لي

وسوف تؤثر على بشرتي البيضاء حينما أتعرض لأشعة الشمس

قلت لها ببراءةٍ:

سأبقى في البيت لن ألعب.

ذات مرة أخرجت فستانها الأسود وارتديته بصعوبة، وارتديت حذاءها ذا الكعب العالي، وتناولت زجاجة عطر فاخرة فانكســـرت من بين يدي..

سمعت خطوات أمي نحوي تسمرت مكاني

يومها بكيت بشدة فقد ضربتني حتى أوجعتني

تقول أمي أنني لم أدخل غرفتها بعد تلك الحادثة

لمدة أسبوع فأحست أنها أول مرة تقسو علي

دعتني إلي غرفتها، سرحت شعري الأسود الفاحم

وتركته مسدولا على كتفي وزينته بطوق اللؤلؤ،

أخرجت أحمر الشفاه ووضعته على شفتي،

مكثت أمام المرآة ساعة لم أصدق ما فعلته أمي،

تقافزت وخرجت إلى الشارع فرحة،

أمسك فستاني الأصفر لكيلا يتسخ

وأختال كالأميرات.

من بعيد رأيت أبي،

ركضت نحوه بفرح

لم يفتح ذراعيه

نظر إلي بعينين يملؤهما الغضب،

صرخ بصوت كاد يصم بصري

كالبرق سبقته إلى البيت وخلف أمي اختبأت

كان يصرخ وأمي تهدئ من روعه

أعرف أنه حينما يغضب يكون الخطب جلل

لم أفهم سوى أنه قال سأقص شفتيها إن رأيتها تضع هذه الألوان،

إياكِ أن تلبسيها مثل ذلك الفستان

إنها بنت يا امرأة متى تفهمين!؟

ستفسدينها بهذه التفاهات!!

كبرت وأبغضت ما كان يغضب أبي

صارت أمي تنعتني بالمسترجلة.

# قارب من ورق

قبل الفجر بساعة يتجهز الصيادون، يبدؤون

بتجهيز معداتهم لرحلة جديدة للبحث عن لقمة العيش.

يخرج سهم تودعه أمه بدعواتها الرقراقة.

ينطلق سهم كالسهم ليدرك رفقته،

فيجدهم في انتظاره.

_هيا يا سهم، سيبدأ الصباح وأنت تترنح.

سمع صوتاً من خلفه:

لم يره جيدا.

اقترب منه، فإذا به أخوه سعد

_ لما لحقت بي؟

_ سأذهب معك

ينطلق سعد نحو البحر.

يضع قاربه على الشاطئ

يسمع هدير الأمواج يترك القارب، يصرخ سهم:

- أدركني سأموت

يحتضنه، ثم يهمس له:

– عد أمي ستقلق عليك

– قاربي!!

- عندما أعود سأصنع لك قاربا أجمل منه

يبتسم، ويعود إلى البيت.

يقف سهم يتأمل قارب سعد المصنوع من الورق فقد مزقته الأمواج.

يمر به شـــريط الذكريات في تلك اللحظة قبل عشـــرة أعوام حين كان هو وأخوه الأكبر سعد يرافقان أباهما إلى الساحل

ودعاه، والابتسامة تشرق من محياه

هيا يا فلذات كبدي عودا إلى أمكما.

سأعود عند الغروب، أجدكم هنا لتحملوا ما جلبت لكم من سمك.

الشـــمس تنحدر معلنة نهاية يوم جميل انتظراه، طال انتظارهما؛ حل الظلام.

عادا دونه بدأ الخوف يتربص بهم.

لم تنم الأم ولا أولادها.

ذهب سعد يترصد خبراً يطمئن به عن والده،

وجد بعض أهل القرية يبحثون عن أخبار صـــيادين خرجوا في ذلك الوقت لم يعد منهم أحد.

لم يطل الوقت حتى نشرت بعض القنوات

أن صيادين لقوا حتفهم أثر سقوط قذيفة على قواربهم في البحر

هرع أهل القرية إلى الساحل بدأ العويل والبكاء امتزجت دموعهم بمياه البحر المالحة

زاد هيجان البحر وغضبه..

لاح الفجر

كان يوما حزيناً

أشعة الشمس تسللت بهدوء

ساحل الفرح تحول لمأتم.

هرع الأهالي فقد حملت الأمواج بعض الجثث، بين جثة وأخرى بضعة أمتار.

كانا يبحثان عن والدهما وسط تلك الجثث

ـ لم يمت أبي يا سهم، سنجده حيا يرزق

قطعوا أكثر من ألف ميل دون جدوى؛

مرض سهم كمدا وحزنا.

واصـــل ســـعد البحث عن أبيه ثلاثة أيام متتالية عند طلوع الفجر يذهب إلى ساحل الفرح في كل يوم يزيد أمله أن أباه نجا.

في اليوم الثالث، جلس ســعد على الســاحل بعد أن أعياه التعب لم يبزغ الفجر بعد.

لمح ببصره شيئاً من بعيد.

ركض نحوه كان بقايا قارب والده.

فقد كانت هناك بعض العلامات تميز القارب

أخذ تلك اللوحة فوجد تحتها ذراعاً أخذ يقلبها صرخ بأعلى صوته.

حتى سمع صدى صوته أهل القرية فهرعوا إليه

تارة يضحك وتارة يبكي

كانت ذراع والده قد فقد خنصر اليد اليسرى وهو صغير.

لم يستطيعوا أخذها منه إلا بشق الأنفس،

بعدها أصيب بحالة نفسية

كل يوم يصـنع قاربا من ورق ليذهب به إلى البحر لينقذ والده بذلك القارب.

انتبه سهم على صوت أحد أصدقائه.

_هيا يا سهم قبل أن تشرق الشمس،

فرحلتنا طويلة.

# حافية القدمين

أطلت برأس مثلث الشكل، وعينين واسعتين بلون السماء، وقرنين صغيرين يرتعشان مع كل خطوة.

القطتان اللتان تزينان مقدمتي جوربيها الصوفيين الداكنين اللذين تضعهما أمها في قدميها كل صباح تحبهما ولا تفارقهما إلا حين تنزعهما

ـرحى تعالي يا صغيرتي، أبوك يريدك.

كانت خلف الباب تنظر إليهما بعد أن استيقظت على أنين والدها الذي يلازم الفراش منذ أشهر.

تقدمت بخطوات بطيئة، م توقفت.

ـاقتربي، لا تخافي أنا بخير.

جرت خطاها، وارتمت على صدر والدها باكية.

ضمها إلى صدره، اهدئي يا صغيرتي.

سكنت، أخذ يداعب شعرها الأشقر المنساب على كتفيها، ويمرر يده عليه من أعلى إلى أسفل.

همس لها:

_هل تريدين جوربين جميلين كالذي ترتدينهما؟

_ردت مبتسمة ودموعها لم تجف:

_هل ستذهب لتشتري لي؟

_نعم، حين أشفى سآخذك إلى السوق وأشتري لك معطفا وجوربين.

قاطعته وهي ترفع إحدى قدميها كهذا؟!

ضحكت أمها.

- نعم يا نور عيني كهذا.

نامت على صدره، ونام هو بعد ليل طويل صارع فيه الألم.

في منتصف الليل تستيقظ على ذلك الصوت الذي اعتادت عليه كل ليلة، تختبئ خلف باب تلك الغرفة لتنصـــت لأنينٍ يهز جدران المنزل على ذلك السرير المتهالك،

يتمدد جسد يقاسي أنواع الآلام،

بعد كل جرعة كيماوية يصبح لذلك الصوت صدى يكاد يسمعه كل

من في الحي.

في الصباح استيقظت، نظرت إلى جوربيها قد اخترقه الإبهام.

نزعتهما وهي المرة الأولى التي تفعلها ومشـــت حافية القدمين تحمل جوربيها بيديها، وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

كما هي عادتها طلت من خلف باب حجرة والدها، هدوء غريب يسود أرجاء الغرفة.

أحدهم بجواره، صوت بكاء،

اقتربت، نظرت هنا وهناك

ثوب ناصع البياض يغطي ذلك الجسد النحيل،

ثوب أسود ترتديه أمها.

ـأمي

لم أسمع صوت أنين أبي.

هل تعافى؟

سيصحبني إلى السوق، أليس كذلك؟

قال لي:

إنه ســـيشـــتري لي معطفا، وجوربين أجمل من هذين الجوربين. أريد

جوربين فيهما صورة" لولو كاتي"

مدت يديها وهي تمسك كلا الجوربين بيديها:

_ انظري تمزق جورباي!

تعالي يا صغيرتي قبلي أباك قبل أن يرحل.

# غصن

لم يدرك أنه سيقع في غيابة الحب بداية من تلك النظرة.

بعد عودته من الغربة التي صنعت منه شخصاً آخرًا.

فقد أصبح أكثر وسامة، ويملك من المال ما يجعل كل، فتيات القرية يتمنينه.

" أجملهن معاقة" كان ذلك رد والدته حينما سألها عن أجمل فتيات القرية.

_اختر من تعجبك وإن كانت من قرية أخرى أريدك أنت من تختار عروسك، سيكون يوم السعد أن أخطب وأن تكتحل عيني برؤيتك عريساً.

_حسناً سأفعل لا تقلقي.

يستيقظ في أبكر الصباح مع ترانيم الطيور، وهطول الندى، وعبق الحقول

ففي تلك، الروابي ترعرع ونشأ، يجوب كل صباح تلك السهول

الخضراء ويملأ، رئتيه بنقاء هوائها، يقف كفزاعة على ضفاف الحقول، يقبل حبات البن الخجولة يلمس فيها غربته فقد أصـــبحت غريبة في وطنها.

مازال، والده متشبثا بها وبعراقتها وطقوسها،

يلتقط بعض الصور بمحاذاتها ويرسلها لأصدقائه

ليثبت لهم أنه مازال عاشقا لها كما كان يحدثهم عنها وعن عشقه لها منذ نعومة أظفاره.

هزت لمى "كتف" صديقتها

_انظري من هناك!!

_من؟

_وضاح.

_ألم تسمعي عنه؟

شغفن بنات القرية بجماله عاد من الغربة قبل أيام

وعندما حاذاهما ألقى السلام..

ارتبكت لمى وخجلت،

فردت غصن السلام

لقد سلم، كان ينظر إلينا.

نهضت غصن وتابعت طريقها دون أن تنبس بحرف.

تلك العينان الدعجاوان، الواسعتان اللتان تظللهما رموش سوداء طويلة لم تغب عنه لحظة وتلك الوجنتان المتوردتان تشبهان حبات البن.

في اليوم الثاني، وعند عودته مر بالساقية وقت الظهيرة

أقبلت لمى وغصن، وحينما كان وضاح على الساقية ترددتا أن تقبلا نحوه.

ابتعد دون أن يعرفهما، كان يرقبهما من بعيد.

شيئاً ما يجذبه نحوهما، تعثرت لمى، وسقطت صرخت غصن تطلب المساعدة ركض وضاح نحوهما

وساعدها على حمل لمى فقد أصيبت في كاحلها برضوض.

بين الفينة والأخرى يسترق النظر إليها

لمحته لمى دون أن ينتبه لها

وطئت بقدمها الأرض، ثم صرخت من شدة الألم

قدمي تؤلمني

قالت غصن:

_أتكئي على كتفي

ثم التفتت إلى حيث يقف وضاح

أنتِ عرجاء لا تستطيعين المشي فكيف أتكئ عليك

سنسقط حتما!

أنا خائفة أن يحدث لقدمي شيء فأصبح..

قاطعتها والعبرة تترقرق في عينيها:

_لا تخافي لن يحدث شيء

ليس في القرية عرجاء غيري.

فهم وضاح كلام أمه حين قالت له:" أجمل فتيات القرية معاقة "

لم يفهم تلك الإعاقة ولم يسألها عنها

ظن أنها صماء، أو بكماء، أو عمياء

لم يتخيل أنها بهذا الجمال الممشوق

_من قال إنها عرجاء هي كالغصن يتمايل ويترنح في حركته.

يترقب خطواتها أينما ذهبت.

على الســـاقية، وعند صـــعودها إلى منزلها المرتفع المطل على تلة بجوار سد القرية الكبير، وهناك على أغصان أشجار البن كان يراها.

يتبعها كظل خلفها وأمامها.

ذات صـــباح كـانت على المورد وحيـدة، كنجمـة تغفو على كتف الشفق،

وإذ بصوت يقترب منها: صباح الخير

صمتت ولم ترد!

_استعجلتُ لكي أراكِ، يومان لم تغادري منزلكِ

استدارت نحوه:

_ألا تتركني في شأني؟

لمَ تلاحقني؟

ألم تسمع حديث أهل القرية؟

يتحدثون عن "وضاح والعرجاء"

لا يليق بك هذا اللقب.

كانت تتحدث وشفتاها ترتجفان، وطرفها مخضل

_أرجوك أتركني في حالي إن وصل الحديث إلى مسامع أخي سيقتلني دون أن يتبين الأمر،

ثم أجهشت بالبكاء

عض على شفتيه وتجمدت أطرافه.

استعاد رباطة جأشه، ثم قال:

_غصن أنا أريدك، منذ ذلك اليوم الذي رأيتك فيه

لا يغادرني طيفكِ.

أنا أبحث عنكِ منذ سنين والآن وجدتكِ.

ردت بصوت بالكاد يُفهم:

_هل كنت تبحث عن عرجاء؟؟!

قاطعها: أنتِ كاملة في نظري لم أركِ كذلك أبداً.

مرت الأيام، وزاد وضاح حبا لغصن، وأصبح حبه حديث أهل القرية، رفضت والدته ذلك الحب،

وصفعه والده حينما سمع الخبر

كانت الصدمة قاسية، فقد أصبح حبيس غرفته.

نحل جسمه، وذلك الوجه الغض صار شاحبا.

حزم أمتعته وعزم على الغربة لعله أن ينسى،

رفض والده قراره وأقسم إن غادر القرية لا يعود إليها أبداً ما لم يتزوج وينس العرجاء.

مرض ولازم فراشه أياما، رثى لحاله من زاره،

وصار مرضه وحبه لغصن حديثا تتناوله الألسن.

_ أين غصن يا أمي؟!

كان خالد يصرخ بأعلى صوته وهو يبحث عنها

بعد أن سمع الألسن تتحدث عنها.

أقبلت إليه، التصقت كفه بخدها حتى شقت حلقت أذنها اليسرى وجنتها.

ثم أنهال عليها ضربا وسط بكاء أمها.

عاشقة، يا عرجاء، ثم بصق في وجهها ومضى، لم تحرك ساكنا!

تجمدت الدموع في مقلتيها

وقفت ثم جمعت أنفاسها.

ركضت نحو طريق خطر لم تأبه بصراخ أمها.

انزلقت وتدحرجت نحو السد ووقعت فيه.

علا عويل ونحيب أمها، ضجت القرية بالغمغمة.

شـعر وضـاح بالضـيق يكتم أنفاسـه، ففتح نافذة غرفته رأى الناس تركض نحو السد

ارتجف وخفق قلبه،

فتح الباب ووصل إلى مسامعه "العرجاء رمت نفسها في السد"

سابق الريح ثم قفز في الماء

غطس طويلا، لم يجدها مرة، مرتين، في المرة الثالثة عاد يحملها بين ذراعيه مازالت حية لكنها تنزف فالجرح في رأسـها كانت تلفظ أنفاسها

تلون الماء باللون الأحمر، صاح الجميع

-لقد فارقت الحياة.

هزها بكتفيها:

_ لا تموتي مهما يبس الغصن فإنه لا يفارق الشجرة.

حملوها، وهو يودعها بدموعه.

صرخ: انتظريني، فالتفت الجميع إليه.

ثم كان قبره بجوار قبرها،

ومازال سد العاشقين يروي قصة حب دفين في أعماقه.

# حبيس المقهى

وقفت أمامه، المكان هو المكان تغير الزمان والوجوه فقط.

مازالت النافذة وزاويتي المفضلة كماهي

عشر سنوات مرت سريعة منذ غادرت المدينة

على أعتابه، فتحت حقيبة الذكريات

هدوء الفجر، عبق القهوة، صوت كوكب الشرق، ابتسامة العم أبو أحمد وتحيته الصباحية التي تعودت عليها_ "صباحك ياسمين مبلل بقطرات الندى"

لتلك التحية نكهة خاصة كنكهة قهوته التي تروق لي كل صباح

كنت أول زبائنه، أجلس أمام النافذة أمامي مفكرتي وقلمي في تلك الزاوية أستلهم فكرة قصة أو مطلع قصيدة ومع كوب القهوة أبدأ سطوري

وكأن تلك الزاوية منبع إلهامي،

يقدم لي كوب القهوة الخاص بي فهو يعرف مزايا كوب قهوتي،

يسرق من وقتي بحديثه الشيق وثقافته الواسعة، ثم ينصرف فهو يعرف أن وقتي من ذهب على الرغم أنني أســعد بحديثه لكنه يؤثر أن يتركني لهمس قلمي.

رذاذ المطر ونسائم الصباح تصنع عالمي الخاص

كثيراً ما تحدق عيناي خارج النافذة.

حين أشتمّ رائحة الحنين ممزوجة برائحة المطر،

وأكتب لها حروفا تحاكي ذلك الشــعور الذي يجتاحني، وأعرف أنها لم تقرأها، ولن تقرأها

ما أن يبدأ الضجيج، وترسل الشمس أشعتها،

ويكتظ المقهى بالعامة

أكون قد لملمت أفكاري، ومفكرتي، وغادرت المقهى.

# غيمة

تطل من شرفة المنزل ترقب أباها عند عودته.

تستقبله بشغف.

يحملها بكلتا يديه، يقبلها

يضمها إلى صدره، تتعالى ضحكاتهما

ابنة الخامسة من عمرها ذات وجنتين ورديتين

وعينين عسليتين،

شعرها المتدلي على كتفيها يزيد جمالها.

كان الجو غائماً والسحب تتلاحم،

بدأت قطرات المطر تهطل بغزارة،

امتلأت الشوارع بالمياه.

لم يتوقف هطول المطر،

تعبت شهد وهي تنتظر والدها،

فشـــرفة المنزل مغلقة، فقد منعتها أمها من دخولها خوفاً عليها من المرض.

تسللت خلسة ودخلت الشرفة،

كانت الرياح قوية. الرؤية غير واضحة

خفق قلبها خوفاً على والدها،

انتصف النهار، طال انتظارها

أمسكت بحبل الغسيل لترفع أكثر، لعلها ترى والدها في نهاية الشارع،

طُرق الباب بقوة. الصراخ يتعالى

أم شهد تنادي:_ افتحي الباب يا شهد،

كانت مشغولة بتجهيز الغداء،

كاد الباب أن يُكسر، ركضت والخوف ينتابها.

_شهد أين انتِ؟

ألا تسمعين صوت الباب؟

أحد الجيران من خلف الباب

أين أبو شهد؟

_ لم يعد بعد.

_ماذا حدث؟

أخذت تصرخ أخبروني ماذا حدث له؟

تعالي يا شهد، أبوك ذهب وتركنا.

أخذها الجيران إلى المشفى.

كانت تركض في أزقة المشفى،

وتصرخ:

_أخبروني هل مات؟

_أين هو؟

عند باب غرفة الطوارئ وجدت

زوجها واقفاً على قدميه

هرعت إليه احتضنته، كان كصنمٍ دون حراك،

الدموع تنهمر من عينيه

_أين شهد؟!

ضاعت منَّا

جثت على ركبتيها

لم تتذكر شيئا،

سوى تلك الشرفة التي حذرتها ألا تدخلها،

وأغلقتها.

لم تمت شهد لكنها فقدت بصرها للأبد.

# بائعة التوت

في الصباح تلبس المدينة ثوبها المبلل برذاذ المطر،

ويتكئ الغيم على سفوح جبالها.

تتململ في أحضان الضباب، كعروس في صباحية عرسها.

تسبقهن ضحكاتهن

يحملن على رؤوسهن ثمار التوت.

كل صباح يزيّنَّ الرصيف وكأنَّهنَّ درٌّ منثورٌ،

يأتي ذلك اللحن الشجي: توتٌ بري

_من يشتري التوت؟

أحاذيهن عند ذهابي إلى الجامعة، ألقي عليهن ابتسامتي وأمر ; فأنا لا أحب التوت.

كانت مشغولة بترتيب حبات التوت، وحين استوت، ورفعت ذراعيها تعدل خمارها،

وقعت عيناي في عينيها، احمرت وجنتيها كرمانتين،

وترنحت ابتسامة على ضفاف ثغرها المتورد،

انتعش الشارع، وتلاشى الضباب، وكأنها الشمس أرسلت أشعتها الخجولة; فابتسم الحي

تبدو أكبرهن وأعرفهن بالمدينة،

غضضت طرفي ومضيت متمتما:

_سبحان الله! كأنهن نجوم وهي قمر "

عند إيابي مررت في المكان نفسه،

لم يبق إلا هي، لم ينفد ما أحضرت

اقتربت منها واشتريت ما بقي،

كم كانت سعيدة وهي تحتضن الكرتون الفارغ

_ هل يعجبك التوت؟

_ نعم، أعشقه،

مضت وأنا أراقبها حتى ابتلعها الحي

أحببت موسم التوت، وصرت أترقب متى سينتهي،

إن غبن يصبح ذلك الزقاق كئيبًا

وإن غابت أفتقد فرح يومي، ولا أعدُّ ذلك الصباح صباحًا

_اليوم كاد ينفد ما لدي لكنني خبأت لك حصتك.

أخذته والسعادة تغمرني.

_نسيت أن أخبرك، أوشك الموسم على الرحيل

سيفقد هذا الرصيف رونقه،

وسيصبح المكان موحشا.

-إلى أين تذهب كل صباح؟

--إلى الجامعة لم يبق على تخرجي إلا القليل.

زفرت زفرة كادت تحرقني ثم ردت:

-كنت أذهب إلى المدرسة قبل أن يموت والدي

تركتها منذ سنوات،

كان حلمي أن أصبح معلمة..

لم تكمل حديثها.

لمع الدمع في عينيها العسليتين واختصر الكثير من الكلام.

_لقد تأخرت سأذهب الآن

تركتني أفك شفرات عباراتها!

وغرقت أكثر في كلامها المبعثر!!

أحمل ما اشتريته، وآكله بشراهة فتنظر إليَّ أمي مشدوهة _ منذ متى تحب التوت؟

فأضحك:

_منذ رأيته في كفها

فتزمجر وتتمتم مولية لي ظهرها: جُنَّ الولد

آذار يودعنا ومعه سنودع موسم التوت

_ترى كيف يكون صباحنا دون عبقه

ولونها القرمزي؟

عناقيد الجمال التي تتدلى في مدينتا عند كل شروق ستختفي.

_هذه لك هدية مني

ناولتني كيسًا مملوءا بالتوت.

كنت ادخرت مبلغا لأشتري حصتي بضعفي ما أشتريه كل يوم، كمساعدة لها

لكنها فاجأتني حين رفضت أن تأخذ حتى قيمة ما ادخرت لي.

طلبت منها أن تنتظر، ثم جئت ببعض الحلوى

_هذه هدية مني، أنا قبلت هديتك لا ترديها

تهللت أسارير وجهها.

-منذ مات أبي لم نأكل الحلوى..

ودعتها وكلي حيرة، لا أدري أهي تبادلني نفس الشعور؟

كانت تلوح لي بكلتي يديها حتى غابت

لوحت لها بيدي اليسرى ثم وضعت يدي اليمنى على قلبي فقد كان النبض ببطء.

انتظرت الموسم بفارغ الصبر،

وطال الانتظار..

حلَّ مزهرًا

عاد عبقهن من جديد وأشرق الغيم

أزهر المكان، وتنفس جمالا

كعقد لؤلؤ انتثرن على الرصيف.

لم أرها بينهن!

بحثت عنها يومين،

وفي اليوم الثالث رأيت امرأةً في منتصف العمر شاردة الذهن يبدو الحزن في ملامحها

تقلب حبات التوت بيديها المعرقتين

طمرت التجاعيد جمالها،

هي المرأة الكبيرة بينهن

اشتريت منها ثم سألتها:

_لم لا تبيع إحدى بناتك ستتعبين من الجلوس يا خالة؟

صمتت ثم ردت بعد برهة:

_كانت لدي صبية هي من تأتي إلى هنا ...

ثم أخذت تكفكف دموعها

شعرت بوخز في صدري

_هل من تتحدث عنها تكون "سديم"؟

ترى هل تزوجت؟؟

إنها قاصرة، كيف ستزوجها؟

أين هي ابنتكِ يا خالة؟

ردت بصوت يملأه الأسى:

_مرضـــت بحمى ولم أكن أملك المال لأذهب بها إلى أقرب مركز صحي.

كانت الحمى شـديدة سـهرت عليها ليلتين أبعدها عنها بالكمادات دون جدوى

بدأ الدم يخرج من أنفها وأذنيها.

خرجت أصرخ دون أن أشعر:_أدركوني ابنتي ستموت .

أسعفها أحدهم بعد فوات الأوان لفظت أنفاسها على عتبة المشفى.

ثم انتحبت وأنا في ذهول مما سمعت

_ما اسم ابنتكِ يا خالة؟؟

ردت بصوت متهدج:

_"سديم "

...

-اسمكِ جميل أتعرفين ما معناه؟

--لا، أبي من سماني إياه وأنا أحب اسمي كثيرًا

_معنى اسمك "تجمع نجوم بعيدة وتظهر كسحابة

تقافزت بين يدي:

ـــرائع اسمي! أليس كذلك؟

هززت رأسي إيجابا وقلت في نفسي:

قد جمعت بين السحب، والنجوم، والسماء،

والرقة، والضياء،

وأراك بعيدة، كبعدهم..

تذكرت ذلك عندما سألتها عن اسمها

لم تســتطع قدماي أن تحملاني فتحاملت على نفســي ألجمتني العبرة

والدموع عبثا حاولت ردها

انتبهت على صوتها

ـــيا بني نسيت ما اشتريته!

نظرت إليها:

ـــلم أعد أشتهي التوت!!

# اشتعال الفاجعة

ارتجفت يدي وسقط القلم من بين أصابعي، دسست رأسي تحت الطاولة لأتناوله

شردت وانتبهت على صوت المعلمة:_شذى أعيدي ما قلت.

تأتأت ولم أتذكر عما كانت تتحدث

_ابقي واقفة.

هي المرة الأولى التي أعاقب فيها نتيجة لعدم انتباهي،

وأنا تلك التلميذة النجيبة

كأن شيئا يشغلني، لم أعرف سببه

ارتعشت يداي، وشعرت بشيء يكتم أنفاسي

كان ذلك حدسي الأول

على الرغم أن عمري آنذاك اثنا عشر عامًا

ما زال هذا حدسي إلى اليوم

كإشعار أن شيئا ما سيحدث،

للتو نزلت من حافلة المدرسة

بجوار فناء المنزل، رجال لم أعرفهم

نساء يدخلن وأخريات يخرجن

كنت هلعة،

حتى الهواء الذي أتنفسه لم يكن هواء، لا أدري كان مختلفا تماما.

ركضت مسرعة وبجوار الباب رميت حقيبتي،

أنظر في وجوه من أعرفهم، فلا أرى إلا الدموع،

غرقت وسط ذلك السواد الذي يملأ المنزل

نشيج وأصوات بكاء،

صوت نحيب من غرفة جدي، اقشعر له بدني

شققت تلك الصفوف، ومن زاوية الباب رأيت النساء يتجمعن حول امرأة لم أرَ وجهها

حدقت بي عيون المواسيات،

وغمغمت بعضهن بكلام لم أفهمه

جلست حينما رأتني، وزاد عويلها

تسمرت مكاني كانت تلك المرأة جدتي

صرخت دون أن أشعر:

_ أين جدي!؟؟؟

أريد جدي..

احتضنتني عمتي وهي تبكي اهدئي يا شذى، تعالي معي

كنت أرتجف كطائر مفزوع

ذهبت بي إلى غرفتي

أسقتني كأسا من الماء، لم أستطع أن أحمله بيدي

- ابقي هنا أرجوك، لا تغادري غرفتكِ إلى أن آتي إليكِ.

_ دموعي تسيح وأنا أنتحب: أريد جدي،

إحداهن اتركي شذى _يا سعاد_ أمك أغمي عليها.

كنت كمن فقد القدرة على الكلام

-من الذي مات؟

أنا موقنة أنه جدي

أيرحل دون أن يودعني، ليلة الأمس كنت أمازحة صار كل شعرك أبيض

تبسم

--لقد كبرت، ولم يبق من العمر أكثر مما ذهب منه

أيرحل ذلك الحضن الدافئ الذي لا أشعر بالأمان إلا بجواره أنا وأختي شمس التي تصغرني بعامين ضحية أسرة مفككة!!!!

نزور أمي بعد أسبوع، أو شهر فهي في القرية ونحن في المدينة مع أبي

مشيت بخطوات متثاقلة

أطليت برأسي من خلف باب فناء المنزل

_أدخلي لا تبقي هنا.

-عمي أين جدي؟

كانت الدموع تغرق عينيه مسح على رأسي ضمني إلى صدره

لم أذكر أنه حضنني من قبل دائما كان يصرخ في وجهي إذا لم أضع الغطاء على رأسي حين أذهب إلى البقالة، وألبس ثوبا طويلا

-تعالي،

مشيت معه.

كان أحدهم يشير إليّ:_ نعم، هذه الكبرى

نظراتهم ألجمتني الصمت أكثر أبحث في ملامحهم عن جواب لسؤالي

من مات؟

الناس يتوافدون من كل مكان سيارات كثيرة قطعت الشارع، ورجال منتشرون هنا وهناك

-أبي، شذى تريدك،

كانت شمس في حضنه

رفع رأسه لم أره قط في حالة كهذه

عيناه كجمرتين ملتهبتين

فرحت أنه لم يصب بأذى ونسيت سبب حزنه

ركضت نحوه

هل أنا في حلم جدي لم يمت إنه حي

كفكفت دمعاتي وتبسمت

لفني بذراعه.

الحمد لله أنك بخير ظننت أنك مت

رد بزفرة يملؤها الأسى:_ليتني أنا الذي مت حاولت أن أنطق تلك الكلمة التي خرس لساني، وأنا أحاول عبثا أن أقولها:

_من الذي مات؟؟

وصلت سيارة الإسعاف غمغم الجميع لقد وصلت الجنازة

فزعت لا أدري لماذا ذلك الشعور اجتاحني فجأة بعد إن اطمأننت

وقف جدي، ثم جثا على ركبتيه

تركني هناك غارقة في دوامة من الخوف والجزع

سمعتهم يرددون احملوه لابد أن يلقي النظرة الأخيرة على ولده

ولده!!

من؟؟؟

لقد رأيتهم جميعا

من الذي مات؟

فتحوا باب السيارة وحملوا الجنازة إلى المنزل كانت مغطاة بثوب أبيض،

بقع من الدم لوثت ذلك البياض الناصع

صوت دويّ هز المكان

وهز كياني

"مازال صـــداه كلما مرت تلك الذكرى "تعطرها دمعتان تســترق من

عيني

أياد لا ترحل،

سمعت ذلك الاسم لم يكن غريبا علي لكنني لا أناديه به، أنا الوحيدة التي أناديه باسم ملكا لي ولأختي.

# حوار مبتور

جهزت كوبين من الشاي، كان الجو غائمًا وزخات المطر تتبادل القبل مع الأشجار،

في جعبتي الكثير من الكلام ســـبق وتحدثت أمام المرآة كثيراً لكي أستجمع شجاعتي أمامه.

أقبل والدي، قدمت له كوب الشاي الذي يحبه

بقيت صامتا، لا أدري كيف تعتريني تلك الهيبة أمامه

فلا أستطيع أن أضع عيني في عينه،

شـــرع في الكلام لقد حفظت حديثه، في كل مرة يحدثني عن قســـوة والده، ودخوله السلك العسكري وهو صغير، بطولاته وجولاته،

أستمع وأستمع دون أن أنبس ببنت شفة.

أهز رأسي أبتسم، وأتفاعل معه بتعبيرات وجهي. أشعل سيجارته ثم استنشقها بعمق،

نفث دخانها تصاعد الدخان أمامي ثم تلاشى

عرفت حينها أنه يجب أن يكون بمفرده

نهضت وأنا أحمل خيبتي،

فقد باءت محاولتي بالفشل كما هو حالي كل مرة،

أصبِّر نفسي لعله يوماً ما يرى أنني قد كبرت وأصبحت رجلًا

نعم كبرت، اليوم وأنا أمشـــط شـــعري قبل ذهابي إلى الجامعة رأيت شعرتين بيضاوين.

لم يبق على تخرجي سوى أشهر، والغريب أنني لم أقع في علاقة عاطفية كما هو حال أصدقائي الذين ينعتوني بفيلسوف زماني.

لم يعرف أحدهم أنني أحيانا أذهب إلى الجامعة مشـــيا على الأقدام لكي أوفر بعض النقود قد أحتاجها فيما بعد،

كنت في نظر الفتيات غريب الأطوار كلما حاولت إحداهن التقرب مني خطوة أبتعد أمتارًا.

هروبي لم يكن خوفا، لكنه عزوفا عن الحب

فكيف لشخص أن يحلق بعيدا وفي معصميه قيود الفقر.

هكذا كنت أردد بيني وبين نفسي.

ذات مســـاء وعند عودتي من المكتبة التي أعمل فيها أنظف الرفوف

وأرص الكتب وألبي طلبات القراء ولي ركن فيها يحفظ كل الكتب التي قرأتها.

حاذاني رجل كبير في السن وفتاة تسنده،

وعلى بعد خطوات انتبهت على صـراخ الفتاة، والدها قد أغمي عليه فجأة. هرعنا إليه، حملناه إلى المشفى.

رافقتها رثيت لحالها، الوقت متأخر وهي بمفردها

نحيبها اقشعر له بدني هدأت من روعها.

بقيت هناك إلى أن طلع الشفق كانت نائمة على ذراعيها بالقرب من رأسه

تحسنت حالته، وفتح عينه اطمأننت عليه

رفعت رأســـها حينما سمعت صـــوتي، ثم عدلت في حجابها لم تظهر ســـوى عينيها الجميلتين اللتين كانتا تحدقان بي وأنا أحدث والدها وأتحاشى النظر إليها.

غادرت المشفى دون أن يعرفوا حتى اسمي.

على الرغم أنني لم أنم تلك الليلة، إلا أني كنت سعيدا جدًا.

ذهبت إلى الجامعة منتعشًا فقد دعا لي ذلك المسن كثيرًا.

بعد ثلاث أشهر من تلك الحادثة.

في كافتيريا الجامعة وقفت إحداهن أمامي

بخجل قالت:_كنت أود أن أشكرك لم تعطني الفرصة.

لم نعرف حتى اسمك!

فقلت في نفسي لعلي ألتقيك صدفة وأعبر لك عن شكري.

-تعبت وأنا أبحث عنك بين المارة هنا وهناك كانت هي!

سمعت نبضـــات قلبي لأول مرة وفرحة غمرتني حين سمعت صـــوتها العذب

أجبتها:_ لا داعي للشكر أختي العزيزة .

لم أفعل شيئًا يستحق الشكر.

رمقتني بنظرة مزجت بخيبة أمل

ذهبت تجرُّ خطاها،

عيناي تراقبان خطواتها وتغرقان بالدموع

وضعت يدي اليمنى على قلبي ثم

زفرت زفرة كادت تكون الأخيرة.

تمّت

# الفهرس

إهداء ..... 4
إسقاط دَيَن ..... 5
ذاكرة معلقة .....10
عيون الشقاء .....14
ورد .....21
كمامة .....26
بقايا قلب .....30
قتل حلمي .....38
فوبيا المصعد .....44
طوق الياسمين .....49
الغصن والعصفور .....54

خريجة.....57
سمراء.....63
رسائل .....67
رسالةٌ لم تُقْرَأ.....70
فقدت بعضي.....74
أحمر الشفاه .....79
قارب من ورق .....83
حافية القدمين .....88
غصن.....92
حبيس المقهى..... 101
غيمة .....103
بائعة التوت .....107
اشتعال الفاجعة.....115
حوار مبتور .....122

# عيون الشقاء

## أوسان العامري

- "كاتبة قصص وروائية".
- صدر لها كتاب بعنوان "همسات قلم".
- فازت روايتها الأولى "وجه القمر" بجائزة محمد عبد الولي للرواية في دورتها الأولى.
- لها العديد من المشاركات في المجلات والصحف العربية واليمنية.

لكنني اليوم بحاجة لأمي لتمسح على رأسي بيديها المرتعشتين وتنفث دعواتها التي تشعرني بالأمان..
عند عودتي ذهبت لزيارتها دعوت لها كثيرًا، وبللت قبرها بدموعي.
خاطبتها: كنت دائمًا تحصنيني من عيون البشر، فلم تصبني بعد تلك العين عين، ونسيتِ يا أماه أن للشقاء عيون.


Bassmabook
0021277181493
darbassma1@gmail.com